أختاه: يا مَنْ ترتدين البنطلون



مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٤٥١ - السنة الثامنة والثلاثون - رجب ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

وقفات مع التوسل والوسيلة

قصة الإبل ليلة الإسراء

شهر رجب فضائل وأحكام

فاعلم أنه لا إله إلا الله

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

"السلام عليكم"

العدل والقسط أساس الأمن والبركة

أخبر رسول الله ﷺ بنزول عيسى ابن مريم حاكمًا في العالم بالإسلام، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، وإمامًا عدلاً». وبيَّن ﷺ أن الحياة في ظل العدل والقسط أرغد حياة وأهنأ عيش، فقال ﷺ: «طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حَبَّك على الصفا (الحجر) لنبت، ولا تشاح (اختلاف) ولا تحاسد ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره». وتصديق ذلك في كتاب ربنا سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٩٧].

وقوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» [نوح: ١٠ - ١٢].

التحـــرير

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

السنة الثامنة والثلاثون
العدد ٤٥١ رجب ١٤٣٠ هـ

"في هذا العدد"

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٣٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن



الحمد لله رب العالمين، خالق السموات والأرضين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين... وبعد:

فقد أخبر الله في كتابه أنه جعل السنة اثني عشر شهرًا، وجعل من هذه الأشهر أربعة حرمًا، قال تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» [التوبة: ٣٦].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي بكرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، والسنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى، وشعبان»(١)

والحديث نصٌّ في بيان هذه الأشهر الأربعة، وقيل: إنما سميت حرمًا لتحريم القتال فيها، وكان ذلك معروفًا في الجاهلية، وقيل: إنه كان في عهد إبراهيم عليه السلام، وقد شرع الله تعالى في أول الإسلام تحريم القتال في الشهر الحرام، قال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» [البقرة: ٢١٧].

وقد اختلف العلماء هل التحريم باقٍ أو نسخ؟ على أقوال ليس هذا مكان بسطها، وسأتحدث – إن شاء الله – في هذا اللقاء عن أحد هذه الأشهر الحرم، وهو شهر رجب، ورجب في اللغة مأخوذ من رَجِبَ الرجل رَجَبًا، ورجَبَه يرجُبُه رَجْبًا ورُجُوبًا، ورَجَّبَهُ وترجَّبَهُ وأَرْجَبَهُ كلَّه: هابه وعظمه فهو مرجوب، وأنشد شمر: أحمد ربي فَرَقًا وأَرْجُبُهُ.

والترجيب: التعظيم، وكان العرب في الجاهلية يعظمون شهر رجب ولا يرون القتال فيه(٢).

وقد ذكر بعض العلماء أن لرجب أربعة عشر اسمًا(٣).

ومنها: رجب مضر، وقد سماه النبي ﷺ بذلك في الحديث السابق، وقيده بقوله: «الذي بين جمادى وشعبان»، وقيل في سبب التسمية: أن مضر كانت تزيد في تعظيمه فنسب إليهم لذلك وقيده النبي ﷺ بهذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة اللبس عنه، قالوا: وقد كان بين مضر وربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجبًا هذا الشهر المعروف، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي ﷺ إلى مضر(٤).

وقيل: لأنهم كانوا يُنْسئُونَهَ ويؤخرونه من شهر إلى شهر، فيتحول عن موضعه المختص به، فبين لهم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا ما كان يسمونه على حساب النسيء(٥).

بعض الأحكام المتعلقة بشهر رجب

أولاً: عتيرة رجب، وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب يتقرب بها

أهل الجاهلية، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «إن العرب إذا نذر أحدهم أمرًا نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه في رجب كذا وكذا، وهي العتائر»(٦).

وقال أبو داود: «والعتيرة في العشر الأول من رجب»(٧).

وقال ابن منظور في معنى العتيرة: «إن الرجل كان يقول في الجاهلية: إن بلغت إبلي مائة عترت عنها عتيرة، فإذا بلغت مائة ضنَّ بالغنم فصاد ظبيًا فذبحه»(٨).

وكان أهل الجاهلية يذبحون ذبيحة في رجب يسمونها: «العتيرة»، والعتر: بمعنى الذبح، وقد اختلف العلماء في حكمها في الإسلام على أقوال، فمنهم من ذهب إلى استحبابها، وذهب آخرون إلى كراهتها، والراجح: أنها باطلة لثبوت نهي النبي ﷺ عنها، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا فَرَعَ ولا عتيرة»(٩).

قال البخاري: «الفرع: أول النتاج، كانوا يذبحونه لطواغيتهم، والعتيرة في رجب».

وقال ابن المنذر بعد أن ذكر الأحاديث في عتيرة رجب: «وقد كانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية، وفعله بعض أهل الإسلام، فأمر النبي ﷺ بهما، ثم نهى عنهما رسول الله ﷺ فقال: «لا فرع ولا عتيرة»، فانتهى الناس عنهما لنهيه إياهم عنهما، ومعلوم أن النهي لا يكون إلا عن شيء كان يفعل، ولا نعلم أن أحدًا من أهل العلم يقول: إن النبي ﷺ كان نهاهم عنهما ثم أذن فيهما، والدليل على أن الفعل كان قبل النهي قوله في الحديث وقد سئل: «إنا كنا نَعْتِرُ عتيرة في الجاهلية في رجب فما تأمرنا؟ قال: اذبحوا لله في أي شهر كان، وبَرُّوا الله عز وجل وأطعموا»(١٠).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «والمراد بقوله ﷺ: «لا فرع ولا عتيرة» نفي كونهما سنة، أي خلافًا لما يراه بعض أهل الجاهلية من أن ذلك سنة، وهذا معنى كلام بعضهم، لكن النفي يفيد البطلان كـ «لا عدوى ولا طيرة»، أفلا يكون «لا فرع ولا عتيرة» إبطالاً لذلك؟ فالأصل سقوط ذلك، ولا حاجة إلى تأويل، بل هو ساقط بالإسقاط النبوي، هذا مع دلالة: «من تشبه بقوم فهو منهم»، مع دلالة أن الرسول ﷺ منع من مشابهة الجاهلية، ثم إن هذا من باب العبادات، والعبادات توقيفية، فلو لم ينفها ﷺ كانت منتفية، فإن أمور الجاهلية كلها منتفية، لا يحتاج إلى أن ينصص على كل واحد منها»(١١).

وقال ابن رجب: «ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسمًا وعيدًا لأكل الحلوى ونحوها، وقد روي عن ابن عباس أنه كان يكره أن يتخذ رجب عيدًا، وأصل هذا أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدًا إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدًا، وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وهي أعياد العام، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وما عدا ذلك فاتخاذه عيدًا وموسمًا بدعة لا أصل له في الشريعة»(١٢).

وليس معنى هذا أنه لا يجوز الذبح عمومًا في شهر رجب، ولكن المراد بالنهي هو ما ينويه الذابح أن هذه الذبيحة هي عتيرة رجب، أو أنه ذبحها تعظيمًا لشهر رجب ونحو ذلك.

ثانيا: تخصيص شهر رجب بالصيام

من البدع التي أحدثها الناس في شهر رجب تخصيصه بالصيام، وقد استند هؤلاء إلى أحاديث ضعيفة وموضوعة، منها حديث: «إن

كان أهل الجاهلية يذبحون في رجب ذبيحة يسمونها العتيرة، ويذبحون أول نتاج البهيمة لطواغيتهم يسمونه: الفرع، وقد أبطل الإسلام كلاً من الفرع والعتيرة

تخصيص شهر رجب بأي نوع من الصيام بدعة لأنه لم يرد في ذلك أثر إلا ضعيف أو موضوع والسلف الصالح كانوا على ذلك

في الجنة نهرًا يقال له رجب ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، من صام يومًا من رجب سقاه الله من ذلك النهر». قال ابن حجر: ذكره أبو القاسم التيمي في كتابه «الترغيب والترهيب»، وذكره الحافظ الأصبهاني في كتاب «فضل الصيام»، ورواه البيهقي في فضائل الأوقات، وابن شاهين في كتاب الترغيب والترهيب، وقال: قال ابن الجوزي في العلل المتناهية: فيه مجاهيل(١٣).

كما استدلوا بحديث: «من صام ثلاثة أيام من رجب كتب الله له صيام شهر، ومن صام سبعة أيام أغلق عنه سبعة أبواب من النار».

وهو حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وغيره(١٤).

قال ابن قدامة: «ويكره إفراد رجب بالصوم». قال أحمد: وإن صامه رجل أفطر فيه يومًا أو أيامًا بقدر ما لا يصومه كُلَّه، ووجه ذلك ما روى أحمد بإسناده عن خَرَشَةَ بن الْحُرِّ. قال: رأيت عمر يضرب أكُفَّ المترجِّبِين، حتى يضعوها في الطعام ويقول: كلوا، فإنما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية.

وبإسناده عن ابن عمر أنه كان إذا رأى الناس وما يعدون لرجب، كرهه وقال: صوموا منه وأفطروا»(١٥).

ومعنى ذلك أنه لا يفرد ولا يخص بصوم، قال ابن القيم: «كان ﷺ يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم، وما استكمل صيام شهر غير رمضان، وما كان يصوم في شهر أكثر مما يصوم في شعبان، ولم يكن يخرج عنه شهر حتى يصوم منه، ولم يصم الأشهر الثلاثة سردًا كما يفعله بعض الناس اليوم، ولا صام رجبًا قط، ولا استحب صيامه، بل رُوي عنه النهي عن صيامه»(١٦).

وقال ابن رجب: «وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه»(١٧).

وقال الطرطوشي: «يكره صيام رجب على ثلاثة أوجه: أحدها: إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام، حسب العوام ومن لا معرفة له بالشريعة مع ظهور صيامه أنه فرض كرمضان، الثاني: أو أنه سنة ثابتة خصه رسول الله ﷺ كالسنن الراتبة، الثالث: أو أن الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على سائر الشهور، جاء مجرى صوم عاشوراء وفضل آخر الليل على أوله في الصلاة، فيكون من باب الفضائل لا من باب السنن والفرائض، ولو كان من باب الفضائل لسنه ﷺ أو فعله ولو مرة في العمر كما فعل في صوم يوم عاشوراء، وفي الثلث الغابر من الليل، ولما لم يفعل بطل كونه مخصوصًا بالفضيلة، ولا هو فرض ولا سنة باتفاق، فلم يبق لتخصيصه بالصيام وجه، فكره صيامه والدوام عليه، حذرًا من أن يلحق بالفرائض والسنن الراتبة عند العوام»(١٨).

وبناءً على ما تقدم أقول: إن تخصيص شهر رجب بالصيام بدعة؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر به ولم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون وأئمة السلف الصالحون، وما ورد في فضل صيامه من أحاديث دائرة بين الضعف والوضع، وما ثبت في الصحيح يخالفها كحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ يتحرى صيام يوم فضَّله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر - يعني شهر رمضان»(١٩).

ثالثًا: العمرة في رجب

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن رسول

الله ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب، فسمعت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: «يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط»(٢٠).

وقد استحب البعض الاعتمار في شهر رجب لفعل بعض الصحابة ذلك، ولا دليل فيه ؛ لأن فعلهم ليس بقصد تخصيص شهر رجب بالعمرة، وإنما يفعلون طاعة لله تفعل على مدار العام، ولو كان لتخصيص شهر رجب بالعمرة فضل أو مزية لذكرته عائشة رضي الله عنها عندما أنكرت على ابن عمر قوله في أن النبي ﷺ اعتمر في رجب، وتخصيص رجب بالعمرة مما لا أصل له في السنة.

وأختم هذا المقال بكلام جميل لأبي شامة رحمه الله قال فيه: «ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصها بها الشرع، بل يكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمان ليس لبعضها على بعض فضل، إلا ما فضله الشرع وخصَّه بنوع من العبادة، فإن كان الشرع اختص بتلك الفضيلة تلك العبادة دون غيرها، كصوم يوم عرفة وعاشوراء، والصلاة في جوف الليل، والعمرة في رمضان، ومن الأزمان ما جعله الشرع مفضلاً فيه جميع أعمال البر كعشر ذي الحجة، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فمثل ذلك يكون أي عمل من أعمال البر حصل فيها، كان له الفضل على نظيره فيها في زمن آخر»(٢١).

وهذا كلام في غاية النفاسة، ويفيد أنه ليس لأحد أن يخصص زمنًا أو مكانًا لعبادة مَّا لم يأت فيه نص عن الشارع، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

﴿ ردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قوله: «إن النبي ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب» بقولها يرحم الله أبا عبدالرحمن وما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قط ﴾

الهوامش:

١- البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، باب ٨ ح٨/٣٢٤، ومسلم كتاب القسامة باب ٩ ح٣/١٣٠٥.
٢- لسان العرب لابن منظور ح١/٤١١.
٣- انظر لطائف المعارف لابن رجب ص١٧١، ١٧٢.
٤- شرح النووي على مسلم ح١١/١٦٨.
٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ح٢/١٩٧.
٦- غريب الحديث ١/١٩٥، ١٩٦.
٧- سنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب في العتيرة ٨/٣٣ مع عون المعبود.
٨- لسان العرب ٤/٥٣٧.
٩- البخاري كتاب العقيقة باب ٣ ح٩/٥٩٦، ومسلم كتاب الأضاحي، باب ٦/١٥٦٤.
١٠- أخرجه أحمد في مسنده ٥/٧٦، وأبو داود في سننه كتاب الأضاحي، باب ٢٠، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/٥٤٥.
١١- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ٦/١٦٥، ١٦٦.
١٢- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص١٧٣.
١٣- انظر تبيين العجب بما ورد في شهر رجب لابن حجر ص٩-١١، والعلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٦٥.
١٤- انظر الموضوعات لابن الجوزي ٢/٢٠٦، واللآلي المصنوعة للسيوطي ٢/١١٥.
١٥- المغني لابن قدامة ٤/٤٢٩.
١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٦٤.
١٧- لطائف المعارف ص١٧٤.
١٨- الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٣٠، ١٣١.
١٩- أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب ٦٩ ج٤/٢٤٥، ومسلم كتاب الصيام ٢/٧٩٧.
٢٠ البخاري كتاب العمرة باب٣، ٣/٥٩٩.
٢١- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٤٨.



أيها الرئيس أوباما: أدعوك إلى الإسلام

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي جعلنا خير أمةٍ أخرجت للناس، سبحانه وبحمده خصَّنا بشريعةٍ لا يعتريها عوجٌ ولا التباس، وبعد:

فهذه رسالة موجهة إلى الرئيس الأميركي رئيس أكبر دولة على سطح المعمورة، وأتأسي في ذلك برسائل رسول الله ﷺ إلى ملوك الفرس والروم، وذلك من خلال مجلة التوحيد الدعوية لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية التي تدعوا إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة.

● فخامة الرئيس باراك أوباما:

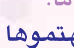
بداية لقد وفقتم في خطابكم الذي نجح في كسب ود الكثير من المسلمين والعرب، وقد أحسنتم حينما أعدتم للأذهان أحقاب التصالح بين العالمين الإسلامي والغربي عبر المدوَّن من تاريخيها، وفي هذا المقام لا يَسَعُنا إلاَّ التساؤل عن دوافع الحرب الحديثة التي جردها الغرب لاحتلال العراق بعد أن باح بها مفكرون أمريكيون مرموقون يوم قالوا: إن النفط والموارد لا الديمقراطية المزيفة وحقوق الإنسان، كانت وراء الاكتساح الدموي للعراق، الذي وصفتموه في خطابكم «بحرب الاختيار» لا حرب الاضطرار، وهي حربٌ سيذكرها الصغار قبل الكبار لما شاهدوا فيها من دمار، وذاقوا بسببها ذل الانكسار.

ولم تكن الدوافع أيضاً هي الديمقراطية وحقوق الإنسان في أفغانستان وباكستان والسودان ودارفور ومن قبلها البوسنة والهرسك، وحرب الإبادة الصهيونية ضد الفلسطينيين.

● فخامة الرئيس باراك أوباما:

لقد أحسنتم حينما أطلقتم بلسماً يُدَاوي الجراح لَمَّا أعلنتم من جامعة القاهرة قلب العروبة والإسلام أن لانيِّة للولايات المتحدة في الاحتفاظ بقواعد عسكرية في أرض العرب المسلمين، وأن تصدير الديمقراطية الأمريكية قد عفا عليه الزمن، واحترامكم لأسلوب الشعوب في ممارسَتها للديمقراطية وفق ما تتبناه من تراث وتقليد.

وما من شك أن تناولكم للقضية الفلسطينية والإشارة إلى معاناة الفلسطينيين وتوقهم إلى وطن قومي بالتوازي مع ذكركم لمحرقة اليهود في أوروبا، مع العلم أن العرب لم يكونوا طرفًا في محرقة اليهود، وإنما أردتم إحداث التوازن عندما تحدثتم عن قضية الفلسطينيين الذين هم بلا وطن، واليهود المغتصبين لأرض فلسطين!! وتأكيد إيمان الولايات المتحدة بإقامة الدولتين، مع العلم أن سابقكم جورج بوش الابن قد أعلنها مرتين أنه لن ينتهي عام كذا إلاَّ وتكون الدولة الفلسطينية قد أقيمت بجوار دولة إسرائيل، لذا فإن الأفعال يا فخامة الرئيس هي التي ستفصل بين عصور مضت وعصر جديد نأمل فيه خيراً كثيراً !!



● فخامة الرئيس باراك أوباما:

إن الضربة المؤلمة التي وجهتموها إلى قطاعات من المثقفين الذين يسمون أنفسهم «ليبراليين، وتنويريين»، ولا هَمَّ لهم إلاَّ مهاجمة حجاب المسلمات ومحاربته بكل الوسائل، والربط بينه وبين التخلف، وانتشار التطرف الديني، فقد اعطيتموهم درساً لا يُنسى، بل كشفتم تخلفهم وديكتاتوريتهم، وعدم إيمانهم بحقوق المرأة التي يتشدقون بها، ومما قلتموه بالنص: «لا يمكن فصل الحرية في أمريكا عن حرية إقامة الشعائر الدينية، وأيضاً السبب وراء خوض الحكومة الأمريكية إجراءات المقاضاة من أجل صون حق النساء والفتيات في ارتداء الحجاب ومعاقبة من يتجرأ على حرمانهن من ذلك الحق». وقلتم في موضع آخر: «إنه من الأهمية بمكان أن تمتنع البلدان الغربية عن وضع العقبات أمام المواطنين المسلمين لمنعهم من التعبير عن دينهم الذي يعتبرونه مناسباً، فعلى سبيل المثال عن طريق فرض الثياب التي ينبغي على المرأة المسلمة أن ترتديها، إننا ببساطة لا نستطيع التظاهر بالليبرالية عن طريق التستر على معاداة أي دين».

وقلتم أيضاً: «أرفض الرأي الذي يعبر عنه البعض في الغرب، ويعتبر المرأة التي تختار غطاءً لشعرها أقل شأناً من غيرها».

● فخامة الرئيس :

وقلتم في خطابكم: «يجب أن يتم بذل جهود مستديمة للاستماع إلى بعضنا البعض، وللتعلم من بعضنا البعض الاحترام المتبادل، والبحث عن أرضية مشتركة، وينص القرآن الكريم على ما يلي: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين». وهذا ما سوف أحاول بما في وسعي أن أفعله وأن أقول الحقيقة بكل تواضع أمام المهمة التي نحن بصددها اعتقاداً مني أن المصالح المشتركة بيننا كبشر هي أقوى بكثير من القوى الفاصلة بيننا.

يعود جزء من اعتقادي هذا إلى تجربتي الشخصية. أنني مسيحي بينما كان والدي من أسرة كينية تشمل أجيالاً من المسلمين، ولما كنت صبياً قضيت عدة سنوات في أندونسيا، واستمعت إلى الآذان ساعات الفجر والمغرب، ولما كنت شاباً عملت في المجتمعات المحلية بمدينة شيكاغو حيث وجد الكثير من المسلمين في عقيدتهم روح الكرامة والسلام، إنني أدرك بحكم دراستي للتاريخ أن الحضارة مدينة للإسلام الذي حمل معه في أماكن مثل جامعة الأزهر نور العلم عبر قرون عدة، الأمر الذي مَهَّد الطريق أمام النهضة الأوروبية وعصر التنوير.

وواصلتم خطابكم قائلين : ونجد روح الابتكار الذي ساد المجتمعات الإسلامية وراء تطوير علم الجبر وكذلك البوصلة المغناطيسية وأدوات الملاحة وفن الطباعة بالإضافة إلى انتشار الأمراض وتوفير العلاج المناسب لها. حصلنا بفضل الثقافة الإسلامية على أروقة عظيمة وقمم عالية الارتفاع وكذلك على أشعار وفن الخط الراقي، وأظهر الإسلام على مدى التاريخ قلباً وقالباً الفرص كاملة في التسامح الديني والمساواة ما بين الأعراق» أ.هـ.

● فخامة الرئيس باراك أوباما:

إذا كنتم قد قرأتم تاريخ المسلمين وتعرفتم عليه وعرفتم فضل الإسلام على كل الحضارات السابقة التي نهلت من الحضارة الإسلامية منهلاً عظيماً، وعشتم بين المسلمين عن قرب شديد وفي بيت تربيتم فيه بين أبٍ مسلم وأسرة لها صلة بالإسلام، وبين ما يقارب العشرة ملايين مسلم يعيشون في أمريكا، ومليار ونصف المليار مسلم في العالم ؛ يقودك ذلك إلى القراءة في سيرة النبي محمد ﷺ للتعرف أكثر على الإسلام !!!



■ فخامة الرئيس أوباما: أنتم أقرب إلى الحق من خلال معايشتكم آهلكم من المسلمين، حيث كان والدك مسلمًا؛ لذا أدعوكم للاقتراب من الإسلام، والتعرف على كتابه المنزّل من لدن حكيم عليم، وسنة نبيه سيد المرسلين!!



● فخامة الرئيس باراك أوباما:

إن الدنيا في شريعة المسلمين دار اختبار وبلاء، فإنها مزرعة للآخرة، يزرع الناس فيها اليوم ليقطفوا غداً في الآخرة، قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور» [الملك: ٢]، وهي صائرة إلى فناء وزوال قال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام» [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. وعمر الدنيا في جنب الآخرة قليل قال تعالى: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ» [الرعد: ٢٦].

وفي سنة نبي الإسلام محمد ﷺ : أنه «اضطجع ﷺ على حصير فأثر في جنبه فقيل له: ألا نأتيك بشيء يقيك منه؟ فقال: ما لي وللدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [البخاري].

وقد وصف قرآننا الذي أنزله رب العالمين إلى رسول الإنسانية ﷺ الدنيا كزهرة نضرة تسحر الألباب، وتستهوي القلوب، ثم لا تلبث إلا برهة حتى تذبل وتتلاشى تلك النضرة وتحطمها الرياح كأنها لم تكن، هذا مثل الدنيا؛ زهرة فتانة تخدع وتغري، فإذا أقبلت عليها النفوس وتعلقت بها الألباب زوت أيامها واستحالت نضرتها إلى هشيم، قال الله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً» [الكهف ٤٥ - ٤٦].

إن هذا التصوير البليغ يبين ويجلي حقيقة الدنيا في ميزان الإسلام كي لا يصبح الناس عبيداً لها تستهويهم خضرتها ويؤثرونها على نعيم الآخرة.

● فخامة الرئيس باراك أوباما:

أنتم قريبون من الحق، وإنه من خلال معايشتكم أهلكم من المسلمين، حيث كان والدك مسلماً فقد تعرفتم على الإسلام عن قرب وعرفتم حقيقته وسماحته وقيادته الحكيمة لشئون الدنيا،مع العلم سيادة الرئيس أن الإسلام لا يلغي رئاسة، ولا يبطل قيادة، ولا يتجاهل موهبة، ولا يصادر ملكية، بل خيار الناس قبل الإسلام خيارهم بعده، وهو يحرص على إنزال الناس منازلهم.

لذا فإني أدعوكم للاقتراب أكثر من الإسلام والتعرف على كتابه المنزل من لدن حكيم عليم، وسنة نبيه سيد المرسلين ﷺ ، خاصة وقد ازدان خطابكم بالشواهد من هذا الكتاب العزيز، والذي ينص بين آياته بقوله: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

ولقد استجاب النجاشي وكان ملكًا على الحبشة لهذا النداء القرآني، وكان صادقًا في حبه للإسلام والمسلمين؛ بإحسانه جوارهم وعدم ظلمهم.

وقد أشرتم في خطابكم إلى التزام الصدق مما يجعل تشابهًا عظيمًا في خصال الخير بينك وبين النجاشي الذي ظل ملكًا حتى لقي الله تعالى الملك.

● فخامة الرئيس باراك أوباما:

لقد وصف النبي محمد ﷺ الملك النجاشي بأنه ملك لا يُظلم عنده أحد، وقد كان النجاشي كما قيل عنه ؛ استضاف المسلمين، وأحسن جوارهم، وقال لهم: أنتم أحرار في أرضي، من سبكم غرم.

فإذا قلنا بعد سماع خطابكم وقراءته أن فخامتكم أوصيتم العالم بالتزام هذه الخصال الحميدة التي كان عليها النجاشي، وأنصفتم الإسلام وحضارته وأهله كما فعل النجاشي، فهل تكملون المسيرة التي انتهى إليها ذلك الملك العادل؟!

هذا ما نأمله ونرجوه، والله الهادى إلى سواء السبيل.



فخامة الرئيس أوباما: لقد أوصيتم بالتزام الخصال الحميدة التي جاء بها الإسلام، والتي كان عليها النجاشي وأنصفتم الإسلام وحضارته وأهله كما فعل النجاشي، فهل تكملون المسيرة التي انتهى إليها ذلك الملك العادل؟!





الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد اجتمعت اللجنة الإقليمية لفروع الشرقية بالمركز العام يوم الأحد الموافق ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٩م برئاسة فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكر الرئيس العام للجماعة، والدكتور عبد العظيم بدوي ، نائب الرئيس العام، والشيخ / أسامة سليمان رئيس اللجنة الإقليمية بالشرقية، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام للجماعة لبيان منهج الجماعة المتمثل في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ الشرك بأنواعه، ومواجهة البدعة وإحياء السنة، والسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا، كما هو صريح كلام ربنا وثابت في صحيح سنة نبينا ﷺ، وإن منهج الجماعة بريء من كل فكرٍ مخالف لمنهج السلف في الخروج على الحكام وإثارة الفتن والذعر المتمثل في التفجيرات وغيرها من الأعمال التخريبية التي ليست من الدين في شيء، وتهيب الجماعة بكل فروعها أن تتولى هذا المنهج المعتدل وتعمل على تقويم الأفكار المنحرفة الخارجة عن هذا المنهج الشرعي الصحيح والتصدي لها، حفاظًا على شباب الأمة أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة وهم لا يشعرون، وحفاظًا على أمن بلادنا واستقرارها وسلامتها من الاضطرابات والفتن.

والله من وراء القصد.

عزاء واجب

انتقل إلى جوار ربه الشيخ / عبدالرحمن الدبيكي - عضو مجلس إدارة فرع ميت غمر وسكرتير إدارة الدعوة بالمركز العام - وأسرة تحرير المجلة تدعو الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة وتتقدم بخالص العزاء لأسرة الفقيد وإنا لله وإنا إليه راجعون.





تفسير سورة النصر - الحلقة الأخيرة

يقول الله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» [النصر: ١- ٣].

قلنا: إن الحديث عن هذه السورة يتضمن أمرين:

الأول: كيف تم فتح مكة؟

والثاني: كيف كانت وفاة الرسول ﷺ.

وقد تحدثنا عن كيفية الفتح، وبدأنا الحديث عن كيفية وفاة النبي ﷺ، ونحن في هذا المقال نكمل الحديث عن:

وفاة النبي ﷺ

وكان أول ما ابتدئ به ﷺ صداع شديد يجده في رأسه. كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ: بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ ثُمَّ قَالَ مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي فَقُمْتُ عَلَيْكِ فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ. فقلت: لكأني بك والله لو فعلت ذلك فرجعت إلى بيتي فعرست فيه ببعض نسائك! فتبسم ﷺ، ثم ابتدئ في وجعه الذي مات فيه(١).

وكان ﷺ يدور على نسائه في مرضه كما كان يدور في صحته، وكان كلما أتى واحدة قال: أين أنا غدا؟ - يريد عائشة - حتى اشتد عليه وجعه، وغلبه على نفسه وهو في بيت ميمونة. فبينما هو كذلك

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

فلدوه، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لاَ تَلُدُّونِي. فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي قُلْنَا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلاَّ الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ»(٢).

ثم استأذن ﷺ نساءه أن يمرّض في بيت عائشة فأذنّ له. فدخل بيت عائشة.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»(٣)..

وكان ﷺ يخرج للصلاة فلما غلبه الوجع قال: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ. فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَهْ إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا»(٤).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلاً قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا وَلا كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إِلاَّ تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ»(٥).

فكان أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس في حياته ﷺ.

ثُمَّ إِنَّهُ وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ. فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ

أَنْ مَكَانَكَ. ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي. وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ»(٦).

ويوم الخميس اجتمعوا عنده ﷺ ، اشْتَدَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدِي» فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ! قَالَ ﷺ: دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ»(٧).

ثم أراد ﷺ أن يخرج للخطبة، فقال لأهله: " هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ: أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ(٨).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ» قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ»(٩).

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١٠).

ثم انقطع ﷺ عن أصحابه بقية يوم الخميس، والجمعة، والسبت، والأحد، بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلاَةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ. قَالَ أَنَسٌ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ الله ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ»(١١).

وقد وجد ﷺ من سكرات الموت ألمًا وشدة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ (١٢).

عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ. قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلْ. ذَلِكَ كَذَلِكَ. مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا(١٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَا كَرْبَ أَبَتَاهُ! فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ(١٤).

عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ يَقُولُ: لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا(١٥). قَالَتْ: فَلَوْلاَ ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى، فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا»(١٦).

وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ. دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ الله ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ. وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ(١٧).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ(١٨).

فلما مات ﷺ وضعت عائشة رأسه على وسادة وسجّته ببردة فاستأذن عمر والمغيرة فأذنت لهما وضربت الحجاب.

فنظر عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: واغشياه!

ما أشد غشي رسول الله ﷺ ، ثم قاما ليخرجا، فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر! مات رسول الله ﷺ ، فقال عمر: كذبت! بل أنت رجل تحوسك فتنة. إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. فخرجا على الناس، وقام عمر يخطب الناس ويتوعد من قال مات رسول الله بالقتل والقطع، ويقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

فلما اختلفوا في موته ﷺ ذهب سالم بن عبيد إلى الصديق بمنزله وأخبره، وكان الصديق حين صلى الفجر ورأى رسول الله بخير انصرف إلى منزله، فجاء رضي الله عنه فكشف عن رسول الله ﷺ وقبّله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس: فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» [الزمر] وقال: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» [آل عمران: ١٤٤].

فنشج الناس يبكون، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقرت حتى ما تقلّني رجلاي، وهويت إلى الأرض، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات.

واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا، وأعربهم حسبا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، وذلك يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ .

فلما كان الغد اجتمع الناس في المسجد، فصعد عمر المنبر فتكلم وأبو بكر صامت فقال عمر: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ ليدبر لنا أمرنا، فإن يك محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به، هدى الله به محمدا ﷺ وإن أبا بكر صاحب رسول الله د وثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم، فقدّموا فبايعوه. ثم نزل عمر وقال لأبي بكر: اصعد، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد:

أيها الناس: إني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علّته إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع في قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله(١٩).

وهكذا انشغل أصحاب رسول الله ﷺ بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء عن تجهيز النبي ﷺ ببيعة الصديق، فلما تمهدت وتوطدت وتمت شرعوا بعد ذلك في تجهيزه ﷺ ، معتدّين في كل ما أشكل عليهم بأبي بكر رضي الله عنه.

لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللهِ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إِلاَّ نِسَاؤُهُ(٢٠).

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يَلْتَمِسُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَقَالَ: بِأَبِي الطَّيِّبُ طِبْتَ حَيًّا وَطِبْتَ مَيِّتًا(٢١).

فلما فرغوا من غسله ﷺ كَفَّنُوهُ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(٢٢).

ثم أخذوا في الصلاة عليه ﷺ فرادى لم يؤمهم أحد، دخل الرجال ثم النساء ثم الصبيان(٢٣).

فلما أرادوا دفنه ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِه، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ: قَالَ: مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فيه، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِه(٢٤).

وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ وَآخَرُ يَضْرَحُ. فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاه، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ(٢٥).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاء(٢٦). فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ(٢٧).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما نحن مجتمعون نبكي لم ننم، ورسول الله ﷺ في بيوتنا، ونحن نتسلى برؤيته على السرير، إذ سمعنا صوت الكرارين في السحر، فصحنا وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة صيحة واحدة، وأذن بلال بالفجر، فلما ذكر رسول الله ﷺ بكى وانتحب فزادنا حزنا.

وهكذا خرج رسول الله ﷺ من الدنيا، فيا لها من مصيبة ما أصيب المسلمون بمثلها قط، يا لها من مصيبة أظلمت لها المدينة، وتنكرت بعدها القلوب.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فيه رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فيه أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وما نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِه حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا(٢٨).

فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أدخلنا مدخل نبينا، وأوردنا حوضه، واحشرنا معه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وعزاؤنا فيه ﷺ قوله: «إِنَّ اللهَ عز وجل إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَاده قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا»(٢٩).

فاللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- حسن:]ص.جه:١١٩٧[، جه(١/٤٧٠/١٤٦٥)، قط(٢/٧٤/١١).
٢- متفق عليه: خ(٨/١٤٧/٤٤٥٨)، م(٤/١٧٣٣/٢٢١٣)، واللُّدُود: هو صبُّ الدواء في أحد جانبي الفم.
٣- خ(٨/١٣١/٤٤٢٨)، تعليقًا، والأبهر: عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.
٤- متفق عليه: خ(٢/١٦٤/٦٧٩)، م(٤١٨-٣١٣/٩٥و١/٣١٤)، ت(٥/٢٧٥/٣٧٥٤).
٥- خ(٨/١٤٠/٤٤٤٥)، م(٤١٨-٩٣-٣١١/و١/٣١٢).
٦- متفق عليه: خ(١٥١/٦٦٤و٢/١٥٢)، م(٣١١/٤١٨-١/٣١٤).
٧- متفق عليه: خ(٨/١٣٢/٤٤٣١)، م(١٢٥٧/١٦٣٧و٣/١٢٥٨).
٨- خ(٨/١٤١/٤٤٤٢).
٩- متفق عليه: خ(٧/١٢/٣٦٥٤)، م(٤/١٨٥٤/٢٣٥٤)، ت(٥/٣٧٠/٣٧٤٠).
١٠- م(٣٧٧/٥٣٢و١/٣٧٨).
١١- متفق عليه: خ(٨/١٤٣/٤٤٤٨)، م(١/٣١٥/٤١٩)، ن(٤/٧).
١٢- خ(٨/١٤٠/٤٤٤٦)، ن(٦و٧).
١٣- متفق عليه: خ(١/١١١/٥٦٤٨.)، م(٤/١٩٩١/٢٥٧١).
١٤- خ(٨/١٤٩/٤٤٦٢).
١٥- متفق عليه: خ(٤٤٤٣و٨/١٤٠/٤٤٤٤)، م(١/٣٧٦/٥٢٩)، ن(٤٠و٢/٤١).
١٦- متفق عليه: خ(٨/١٥٠/٤٤٦٣)، م(٢٤٤٤-٨٧-٤/١٨٩٤/).
١٧- خ(٨/١٤٩/٤٤٤٩).
١٨- خ(٨/١٤٩/٤٤٦٢)، ن(٤/١٣)، بنحوه.
١٩- انظر البداية والنهاية(٥/٢٤٢).
٢٠-حسن:]ص.د:٢٦٩٣[، د(٤١٣/٣١٢٥-٨/٤١٥)، جه(١/٤٧٠/١٤٦٤).
٢١- صحيح:]ص.جه:١٢٠٧[، جه(١/٤٧١/١٤٦٧).
٢٢- متفق عليه: خ(٣/١٣٥/١٢٦٤)، م(٢/٦٤٩/٩٤١)، ت(٢/٢٣٣/١٠٠١)، د(٢٤٥/٣١٣٥و٨/٢٤٦).
٢٣- البداية والنهاية(٥/٢٦٥)، وقال ابن كثير: وهذا الصنيع وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مجمع عليه لا خلاف فيه.
٢٤- صحيح:]ص.ت:١٠١٨[، ت(٢/٢٤٢/١٠٢٣).
٢٥- حسن صحيح:]ص.جه:١٢٦٤[، جه(١/٤٩٦/١٥٥٧).
٢٦- حسن:]الفتح الرباني:٢١/٢٥٦[، حم(٢١/٢٥٦/٥٤٩).
٢٧- خ(٨/١٤٩/٤٤٦٢)، ن(٤/١٣)، بنحوه.
٢٨- صحيح:]ص.ت:٣٦١٨[، ت(٥/٢٤٩/٣٦٩٧)، جه(١/٥٢٢/١٦٣١).
٢٩- م(١٧٩١/٢٢٨٨و٤/١٧٩٢).
٣٠- م(٣/١٢٥٦/١٦٣٥)، د(٨/٦٤/٢٨٤٦)، جه(٢/٩٠٠/٢٦٩٥)، ن(٦/٢٤٠).
٣١- خ(٨/١٥١/٤٤٦٧).

بركات التوحيد

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقد قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» [محمد: ١٩]

إعداد/ شوقي عبدالصادق

وهذا العلم هو خير ما علمه النبي ﷺ والنبيون قبله، وخير كلمة نطق بها النبي ﷺ والنبيون قبله، وهذه الكلمة هي الكلمة الطيبة التي اشتملت على الكفر بكل طاغوت يُعبد من دون الله من شجر أو حجر أو بشر، أو جن، أو ملَك، والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد لقوله تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٥٦]، والعروة الوثقى: هي لا إله إلا الله.

والإتيان بالتوحيد له بركات على الأفراد والجماعات، وفي الحياة الدنيا وبعد الممات، ومن هذه البركات:

أولاً: تحريم مال الموحد ودمه:

لقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله». [٩٦].

ولما رواه مسلم أيضًا من حديث أسامة بن زيد لما قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله، وتوقف الأنصاري عن القتل وذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال له: «يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله». قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذًا، قال: فقال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله». قال: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. [مسلم: ٢ / ١٠٠].

ثانيًا: التوحيد عمل قليل وثواب جزيل:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عَشْرِ رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه يأت أحد فأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». [اللؤلؤ والمرجان: ١٧٢٤].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال عشرًا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل». [اللؤلؤ والمرجان: ١٧٢].

ففي الحديث الأول يُحصل الموحد بهذا الذكر خمس فضائل ؛ أولها: يؤجر كمن أعتق عشر رقاب لله، ثانيها: كتبت له مائة حسنة، ثالثها: محيت عنه مائة سيئة، ورابعها: كانت له حرزًا من الشيطان سائر اليوم حتى يمسي، وخامسها: السبق بالفضيلة على كل من لم يقل مثل قوله، وهذا أمر هين لك أن تقوله جميعًا أو متفرقًا في أول النهار وأثنائه، ولكن أوله أولى.

وكذلك حديث: «من دخل سوقًا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومَحى عنه ألف ألف سيئة». [حسنه الألباني بمجموع طرقه في الكلم الطيب: ٢٣٠، وابن كثير ٤ / ٤٨٤].

ثالثًا: التوحيد راحة للبال وهدوء للنفس:

قال تعالى في حق أهل بدر الموحدين الذين لم يشركوا بربهم شيئًا ولا يستغيثون إلا به ولا يرجون إلا هو: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ» [الأنفال: ٩-١١]، فتوحيد الله وصدق التوجه إليه، والاستغاثة به وحده كان سببًا في نزول الملائكة للبشارة والاطمئنان، ولَفَّهُمُ النعاسُ راحة وأمنة من الرحمن، وقريب من هذا قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لاَ يَعْلَمُونَ» [الزمر: ٢٩]، فأين هذا العبد المشرك الممزق بين آلهة وأسياد ومعبودات متعددة، من الموحد السّلَم لربه الواحد الأحد؟ لا شك أن الموحد إذا سأل إلهًا واحدًا، وإذا استعان استعان بإله واحد، بخلاف المشرك يسأل أكثر من إله فهو متعب ممزق.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا تضوَّر من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار». [الصحيحة: ٢٠٦٦].

فهذا رسول الله ﷺ يأمر الأمة بالتوحيد إذا أصابهم قلق عند النوم لتهدأ أنفسهم.

رابعًا: من بركات التوحيد كشف الكرب وذهاب الغم:

قال الله تعالى: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، وقال تعالى: «فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم». [مسلم ج١٧ / ص٤٧].

قال النووي: قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب، وعن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب -: الله الله ربي لا أشرك به شيئًا». [أبو داود ح١٥٢٥].

خامسًا: التوحيد أثقل ما وضع في الميزان:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله سيُخلصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك فتُخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم». [صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي].

سادسًا: التوحيد أساس قبول الأعمال:

قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

فشرط قبول العمل الإخلاص لله فيه، والمتابعة للنبي ﷺ، أي يكون العمل صوابًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء، وهو للذي أشرك». [مسلم: ٢٩٨٥].

وروى النسائي بسند جيد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه».

سابعًا: مغفرة الذنوب من بركات التوحيد:

لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعجب إلى العبد إذا قال: لا إله إلا أنت، إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: عبدي عرف أن له ربًا يغفر ويعاقب». [الصحيحة: ١٦٥٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها». [الصحيحة: ٢٢٧٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة». [الترمذي في الجامع: ٣٥٣٤، وله شاهد عند مسلم في الصحيح: ٢٦٨٧].

ثامنًا: الموحدون شفعاء في الدنيا والآخرة وهم أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه». [مختصر مسلم: ٤٨٣].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبله أو نفسه».

تاسعًا: من بركات التوحيد التمكين في الأرض:

قال الله تعالى: «وَعَدَ

﴿اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وتتجلى هذه الصورة فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوا فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون. [مسلم ١٨ / ٤٤].

وقال النووي في شرحه للحديث: قال بعضهم المعروف المحفوظ من بني إسماعيل وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية. اهـ.

فعلى المسلمين إن أرادوا التمكين في الأرض أن يأتوا بالتوحيد كاملاً غير منقوص قبل أي إعداد من علوم ومن عَدد وعُدد، فهذا الفتح المنصوص عليه في الحديث بدون سلاح، وإنما بالتوحيد الفعلي، ثم القولي، فهو قذائف الحق من قلوب شهدت أنه لا إله إلا الله ففتح الله لها، ولا يأتي الفتح لأقوام أُشربت قلوبهم الشرك والبدعة مهما أوتوا من قوة.

عاشرًا: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب:

لما رواه البخاري قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». [البخاري: ٥٩٩١].

وفي رواية: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

لا يتطيرون: لا يتشاءمون.

لا يسترقون: لا يطلبون الرقية على خلاف بين العلماء في ذلك.

يكتوون: يستخدمون الكي في علاج الأمراض.

فهذا العدد السبعون ألفًا حقق التوحيد فأدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «رب زدني، فقال: مع كل ألف سبعون ألفًا».

حادي عشر: الموحدون لا يُخلدون في النار وإن دخلوها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان». [الصحيحة: ٢٤٥٠].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حُممًا ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتُون كما ينبت الغُثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة». [الصحيحة: ٢٤٥١].

وقد لا تمس النار الموحد أصلاً لما رواه أبو هريرة وأبو سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله عز وجل: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، قال الله: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا الله أنا ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي، من رُزقهن عند موته لم تمسه النار». [الصحيحة: ١٣٩٠].

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة التي نوه إليها الطحاوي رحمه الله بقوله: وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته. [شرح العقيدة الطحاوية: ٣٦٩، ٣٧٠].



كيف تلقى الصحابة كلام الله

الحلقة الثانية

إعداد/ زكريا حسيني محمد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كان لنا خمر غير فضيخكم الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حُرِّمت الخمر. قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في مواضع أولها في كتاب المظالم باب صب الخمر في الطريق برقم (٢٤٦٤)، وفي كتاب التفسير في تفسير سورة المائدة باب: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان» برقم (٤٦١٧)، وباب «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا...» برقم (٤٦٢٠)، وفي كتاب الأشربة باب الخمر من العنب برقم (٥٥٨٠)، وفي باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر برقم (٥٥٨٢، ٥٥٨٣، ٥٥٨٤)، وفي باب من رأى أن لا يخلط البسر والتمر برقم (٥٦٠٠)، وفي باب خدمة الصغار الكبار برقم (٥٦٢٢)، وفي كتاب أخبار الآحاد باب (ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والأحكام) برقم (٧٢٥٣)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة برقم (١٩٨٠ مكررًا، وبرقم (١٩٨١، ١٩٨٢). وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الأشربة في باب «تحريم الخمر برقم (٣٦٧٣)، وكذا الإمام النسائي في السنن (الصغرى) في كتاب الأشربة باب (ذكر الشراب الذي أهريق بتحريم الخمر برقم (٥٥٤٣، ٥٥٤٤، ٥٥٤٥)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الأشربة باب جامع تحريم الخمر برقم (١٥٧٦) كما في الاستذكار، والإمام الدارمي في سننه في كتاب الأشربة باب ما جاء في تحريم الخمر كيف كان برقم (٢٠٨٩)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (٣ / ١٨١، ١٨٣، ١٨٩، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٦٠) في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

شرح الحديث

في هذا الحديث يبين الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم كانوا يجتمعون على شرب الخمر قبل تحريمه، فاجتمع جماعة منهم من الأنصار مع النبي ﷺ، فأخبرهم أن هناك أمرًا قد حدث بالنسبة للخمر وهو أن الله تعالى حرمها، فلم يتردد القوم في التوقف عن شربها بل أمر أبو طلحة ربيبه أنسًا أن يريق الخمر التي عندهم في جرارهم وأسقيتهم بمجرد أن علموا الخبر بالتحريم، وقد وصف أنس هؤلاء الرهط الجالسين للشرب أنهم سارعوا بالاستجابة، ولم يراجعوا فيها ولم يسألوا عنها بعد ذلك، وهذا موقف الصحابة حين يتلقون الخبر ويسمعون كلام الله عز وجل يتلى عليهم، فما دام الأمر نازلاً من عند الله تعالى على رسوله ﷺ فما على المسلم إلا التسليم والسمع والطاعة والانقياد لله ولرسوله.

تعريف الخمر

الخَمْرُ ما أَسْكَرَ من عصير العنب وغيره، والسُّكْرُ هو غيبوبة العقل واختلاطه من الشراب المسكر.

الآيات التي نزلت في تحريم الخمر

قال القرطبي عند تفسير آية البقرة: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...» (٢١٩) قال بعض المفسرين: إن الله تعالى لم يدَعْ شيئًا من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الآية، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة؛ فكذلك تحريم الخمر. وهذه الآية أول ما نزل في أمر الخمر. ثم ساق كلامًا مؤداه أن شارب الخمر يفقد عقله، ويعبث حتى يصير أضحوكة للناس، وأما منفعتها فربح التجارة فيها.

وقال في تفسير آية سورة النساء:

حض الله سبحانه وتعالى بهذا الخطاب

المؤمنين؛ لأنهم كانوا يقيمون الصلاة وقد أخذوا من الخمر وأتلفت عليهم أذهانهم فَخُصُّوا بهذا الخطاب؛ إذ كان الكفار لا يفعلونها صحاةً ولا سكارى.

روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شفاءً؛ فنزلت الآية التي في البقرة: «يسألونك عن الخمر والميسر» قال: فدعي عمر فقرئت عليه فقال: «اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: «شيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى...» فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: الا لا يقربَنَّ الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت هذه الآية: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» قال عمر: انتهينا.

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» ونحن نعبد ما تعبدون. قال: فأنزل الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقال في تفسير آية المائدة التي معنا في هذا الحديث:

تحريم الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة؛ فإنهم كانوا مولعين بشربها، وأول ما نزل في شأنها قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» أي: في تجارتهم ؛ فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها فنزلت هذه الآية «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» [النساء: ٤٣] فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» فصارت حرامًا عليهم حتى صار يقول بعضهم: ما حرم الله شيئًا أشد من الخمر، وقال أبو ميسرة: نزلت بسبب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه ذكر للنبي ﷺ عيوب الخمر، وما ينزل بالناس من أجلها، ودعا الله في تحريمها، وقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت هذه الآيات، فقال عمر: انتهينا انتهينا.

الأحاديث الواردة في تحريم الخمر

لقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم الخمر، ولا يمكن حصرها والإتيان عليها ههنا، وسنقتصر على ذكر بعض الصحيح منها ؛ فمن ذلك:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمها في الآخرة». [متفق عليه].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ ليلة أسري به بإيلياء – بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر غوت أمتك. (متفق عليه).

٣- عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا يحدثكم به غيري، قال: «من أشراط الساعة أن يظهر الجهل، ويقل العلم، ويظهر الزنا، وتشرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد». [البخاري].

٤- عن أنس رضي الله عنه قال: حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد – يعني بالمدينة – خمر الأعناب إلا قليلاً، وعامة خمرنا البسر والتمر. [متفق عليه].

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام عمر على المنبر فقال: أما بعد، نزل تحريم الخمر وهي من خمسة؛ العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل. [متفق عليه].

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن البِتْع فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام». والبتع: هو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه. متفق عليه.

٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء. أخرجه البخاري في الصحيح.

٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: «هل علمت أن الله قد حرمها؟» قال: لا، فسارَّ إنسانًا. فقال له رسول الله ﷺ: «بِمَ ساررته؟» فقال: أمرته ببيعها. فقال: «إن الذي حرم شربها حرم بيعها». قال: ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها. (مسلم).

٩- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة قال: «يا أيها الناس، إن الله تعالى يُعَرِّضُ بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمرًا، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به». قال: فما لبثنا إلا يسيرًا حتى قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرَّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع». قال:

فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة، فسفكوها. (مسلم).

١٠- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة، خرج رسول الله ﷺ فافترأهن على الناس، ثم نهى عن التجارة في الخمر. [متفق عليه].

١١- عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قدم من جَيْشَان (وجَيْشانُ من اليمن) فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المِزْرُ، فقال له النبي ﷺ: «أو مسكرهو؟» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله - عز وجل - عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال ؟ قال: «عَرَقُ أهل النار، أو عصارة أهل النار». [مسلم].

١٢- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن. فقلت: يا رسول الله، إن شرابًا يصنع بأرضنا يقال له: المِزْرُ من الشعير. وشراب يقال له: البِتْعُ من العسل. فقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام». (مسلم).

١٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنت الخمر على عشرة وجوه ؛ لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها». [أخرجه الإمام أحمد في المسند والإمام أبو داود في سننه والإمام ابن ماجه في سننه. وصححه الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني رحم الله الجميع].

١٤- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:... وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين. فقالوا: تعالَ نُطْعِمْكَ ونَسْقِكَ خمرًا - وذلك قبل أن تحرم الخمر - قال فأتيتهم في حَشٍّ - والحَشُّ البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح أنفي، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته. فأنزل الله عز وجل فيَّ شأن الخمر: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» [المائدة: ٩٠]. (مسلم).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت عن عدد كبير من أصحاب النبي ﷺ، وسجل المحدثون في دواوين السنة، وفي القدر الذي ذكرناه ما يكفي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد تبين من هذه الأحاديث وغيرها أن الخمر تتخذ من العنب ومن التمر والبُسر ومن الشعير ومن الحنطة ومن الذرة ومن العسل، وعلى كل حال فكل شراب اتخذ من هذه الأشياء أو من أي فاكهة من الفواكه وأسكر فهو خمر وهو محرم ؛ حرمه الله تعالى ورسوله فهو محرم إلى يوم القيامة. فعلى كل مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أن يتقي الله تعالى ويخاف عقابه ويقلع عن معاصي الله تبارك وتعالى، ولا سيما شاربي الخمر ومدمنيها، فإن مدمن الخمر ممن لا يدخلون الجنة كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى». [النسائي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع].

حكم النبيذ إذا لم يسكر

النبيذ: نقيع التمر في الماء، أو الزبيب في الماء، أو غيرهما من الأصناف المذكورة التي يتخذ منها الخمر، فإن شُرِبَ هذا النقيع طازجًا طريًا جديدًا قبل أن يتخمر، جاز شربه وهو حلال، وقد ثبت أن النبي ﷺ شربه، فكان ينقع له ﷺ التمر ليلاً فيشربه صباحًا، أو أول النهار فيشربه ليلاً ونحو ذلك.

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن أبا أسيد الساعدي رضي الله عنه دعا النبي ﷺ لعرسه فكانت امرأته خادمهم يومئذ وهي العروس، فقالت: ما تدرون ما أنقعت لرسول الله ﷺ ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تور. (متفق عليه).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن النبيذ، فدعت عائشة جارية حبشية، فقالت للسائل: سلْ هذه، فإنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ. فقالت الحبشية: كنت أنبذ له في سقاء من الليل، وأوكيه وأعلقه، فإذا أصبح شرب منه. (مسلم).

انتباذ الخليطين

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يجمع بين التمر والزهو، والتمر والزبيب، ولينبذ كل واحد منهما على حدته. (متفق عليه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخلط التمر والزبيب جميعًا، وأن يخلط البسر والتمر جميعًا. (أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد في المسند).

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن ينبذ التمر والزبيب جميعًا. (أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تجمعوا بين الزهو والرطب، والزبيب والتمر، انتبذوا كل واحد على حدة». (مسلم وابن ماجه).

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار: روي عن النبي ﷺ أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب، والزهو والرطب ؛ من طرق ثابتة، عن ابن عباس، وأبي قتادة، وجابر، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس رضي الله عنهم.

ومعنى هذا أنه إذا نبذ كل واحد من الأصناف التي يتخذ منها الخمر على حدة ثم خلطت هذه الأنواع عند الشرب فإنه لا بأس بذلك ولا حرج فيه، وإنما كره العلماء أن تخلط عند الانتباذ ؛ لأن بعضها يشد بعضًا ويساعد على تخمرها، والآن يضع الناس هذا النبيذ في الثلاجات حتى لا يتخمر ويشربونه فلا حرج في ذلك، المهم ألا يترك النبيذ حتى يتخمر سواء كان منفردًا على حدته أو مخلوطًا بغيره.

نجاسة الخمر

قال صاحب «التحرير والتنوير»: فأما اجتناب مماسة الخمر واعتبارها نجسة لمن تلطخ بها بعض جسده أو ثوبه فهو مما اختلف فيه أهل العلم، فمنهم من حمل الرجس في الآية على معنييه المعنوي والذاتي، فاعتبروا الخمر نجس العين يجب غسلها كما يجب غسل النجاسة، وهو قول مالك.

قلت - وهو قول الجمهور -، ولم يقولوا بذلك في قداح الميسر ولا في حجارة الأنصاب ولا في الأزلام، والتفرقة بينها وبين هذه الثلاثة (المعطوفات عليها) لا وجه لها من النظر، إلى أن قال: وذهب بعض أهل العلم إلى عدم نجاسة عين الخمر، وهو قول ربيعة بن عبد الرحمن والليث بن سعد والمزني من أصحاب الشافعي وكثير من البغداديين من المالكية ومن القيروانيين ؛ منهم سعيد بن الحداد القيرواني، وقد استدل سعيد بن الحداد على طهارتها بأنها سفكت في طرق المدينة، ولو كانت نجسًا لنهوا عنه، إذ قد ورد النهي عن إراقة النجاسة في الطرق. قال: وأقول: الذي يقتضيه النظر أن الخمر ليست نجس العين، وأن مساق الآية بعيد عن قصد نجاسة عينها إنما القصد أنها رجس معنوي، ولذلك وصفه بأن من عمل الشيطان، وبينه بعدُ بقوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ»، ولأن النجاسة تعتمد الخباثة والقذارة وليست الخمر كذلك، وإنما تنزه السلف عن مقاربتها لتقرير كراهيتها في النفوس. انتهى بتصرف.

وقد مال كثير من محققي العلماء إلى عدم نجاسة عين الخمر على مدار تاريخ الإسلام منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن المعاصرين الكثيرون منهم الشيخ ابن عثيمين رحمة الله على الجميع.

هذا، وقد أطلق القرآن كلمة الرجس على المذمات الباطنة ؛ كما في قوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ»، وقوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ». فليس بلازم أن يكون الرجس معناه النجس العينيَ. فإنه يطلق على هذا وذاك.

الأشياء المعطوفة على الخمر في الآية

الميسر: هو القمار ؛ وهو كل لعب فيه مراهنة، وهو قمار العرب بالأزلام، أو اللعب بالقداح في كل شيء، والميسر أيضًا هو كل شيء فيه قمار حتى لعب الصبيان بالجوز أو بغيره.

والأنصاب: أحجار أو تماثيل كانت تنصب لتعبد من دون الله تبارك وتعالى، وكانوا يذبحون لها وعندها، وعليها. واحدها (نَصْبٌ).

الأزلام: جمع (زَلَمٍ)، وهو السهم الذي لا ريش له، وكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام، وكانوا يكتبون عليها الأمر أو النهي ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمرًا أدخل يده فيه وأخرج سهمًا، فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كفّ.

فأما الميسر ففيه إضاعة للمال، أو الحصول عليها بسهولة بغير حق فهو أكل للأموال بالباطل، وأما الأنصاب فكانوا يعبدونها من دون الله ويذبحون لها، وأما الأزلام فكان لها أثر في تسيير أمور حياتهم يتوكلون عليها معرضين عن التوكل على رب العالمين.

لذا جاء في الآية الكريمة الأمر باجتناب هذه الأمور وعدم قربانها، وعلق الفلاح على ذلك الاجتناب.

من فوائد الحديث

١- مسارعة الصحابة رضي الله عنهم في الاستجابة لأمر الله تبارك وتعالى ولو كان هذا الأمر على خلاف أهوائهم، وذلك واضح في قولهم: انتهينا.

٢- إثبات العمل بخبر الواحد ؛ فإن الرجل الذي جاء إلى بيت أبي طلحة ليخبرهم بتحريم الخمر كان رجلاً واحدًا، فاستجاب له الصحابة، وفي ذلك يقول أنس رضي الله عنه: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

٣- مبالغة الصحابة رضي الله عنه في الامتثال، فأراقوا الخمر في طرق المدينة مباشرة عندما سمعوا الخبر، ولم يكتفوا بالانتهاء عن الشرب وينتظروا حتى يسألوا رسول الله ﷺ عن هذه الخمر التي عندهم، ولم يقولوا: في هذا إضاعة للمال.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المستجيبين لأمره وأمر رسوله ﷺ، وأن يوفقنا والمسلمين لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

١٨٤٩- عن عمرانَ بنِ حصينٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ». م(٢٧٣٨)، حم (١٩١٨٥٠)، (٢٠٠٠٠).

١٨٥٠- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كَان دُعَاءُ رَسُولِ الله ﷺ: «اللَّهمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». م(٢٧٣٩)، د(١٥٤٥).

١٨٥١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتقُوا الدُّنْيا واتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرائيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». م(٢٧٤٢)، حم (١١١٦٩)، ن في «الكبرى» (٩٢٦٩)، حب (٣٢٢١).

١٨٥٢- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنبونَ يَغْفِرُ لَهُمْ». م(٢٧٤٨)، حم (٢٣٥٦٢)، ت(٣٥٣٩).

١٨٥٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنبوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُون، فَيَسْتَغْفِرونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ». م(٢٧٤٩)، حم (٨٠٨٨).

١٨٥٤- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيومِ الْقِيَامةِ». م(٢٧٥٣)، حم (٢٣٧٨١)، حب (٦١٤٦)، طب (٦١٢٦)، (٦١٤٤).

١٨٥٥- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِالليلِ لِيتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُط يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مسيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها». م(٢٧٥٩)، حم (١٩٥٤٧).

١٨٥٦- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرانيّاً، فيقولُ: هذا فِكَاكُكَ مِن النَّارِ». م(٢٧٦٧)، حب (٦٣٠)، والطيالسي (٤٩٩).

١٨٥٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ المُرارِ، فَإِنَّهُ يُحَط عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إسرائيلَ». م(٢٧٨٠).

الثنية: الطريق بين جبلين - المرار: شجرٌ مُرٌّ - وهذه الثنية مهبط الحديبية.

١٨٥٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بينَ الغَنَمَيْنِ، تَعيرُ إلى هذه مَرَّةً وإلى هَذِهِ مَرَّةً». م(٢٧٨٤)، حم (٥٠٧١)، (٥٧٩٠، ٦٢٩٨)، ن(٥٠٥٢)، وفي الكبرى (١١٧٦٨).

١٨٥٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رسُولَ الله ﷺ عَنْ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» [إبراهيم: ٤٨]، فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ». م(٢٧٩١)، حم (٢٤١٢٤)، (٢٥٠٧٧)، (٢٥٨٨٦)، ت(٣١٢١)، جه (٤٢٧٩)، دي (٢٨٠٩)، حب (٣٣١)، (٧٣٨٠).

١٨٦٠- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ويُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا». م(٢٨٠٨)، حم (١٤٠٢).

١٨٦١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهم». م(٢٨١٢)، حم (١٤٣٧٣)، (١٤٩٤٥)، ت(١٩٣٧)، حب (٥٩٤١).

التحريش - بالخصومات والشحناء والحروب والفتن.

١٨٦٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى البَحْرِ فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً». م(٢٨١٣)، حم (١٤٣٨٤)، (١٤٩٤٤)، (١٥١٢١).

١٨٦٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ وَلاَ يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ. وَلاَ أَنَا، إِلاَّ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ». م(٢٨١٧)، حم (١٥٢٣٨).

ملحوظة: الحديث متفق عليه ولكن من حديث أبي هريرة، ومن حديث عائشة.

١٨٦٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ». م(٢٨٢٢)، حم (١٥٦٠)، (١٣٦٧٢)، ت (٢٥٥٩)، دي (٢٨٤٣)، حب (٧١٦).

١٨٦٥- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يمتخطون وَلاَ يَبُولُونَ، ولَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهمونَ التَّسْبيحَ والحَمْدَ، كَمَا تلْهَمُونَ النَّفَسَ». م(٢٨٣٥)، حم (١٤٤٠٨، (١٤٩٢٧)، (١٥١١٩)، د(٤٧٤١)، حب (٧٤٣٥)، دي (٢٨٢٨)، طيالسي (١٧٧٦)، وأبو يعلى (١٩٠٦، ٢٠٥٢).

١٨٦٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَدْخُل الجنَّة يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسن، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ». م(٢٨٣٦)، حم (٨٨٣٥)، (٩٢٩٠)، (٩٤٠٠)، (٩٩٦٤).

١٨٦٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، والْفُراتُ والنِّيلُ كُلٌّ مِنَ أَنْهَارِ الجَنَّةِ». م(٢٨٣٩)، حم (٧٨٩١)، (٩٦٨٠).

١٨٦٨- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَدْخل الجَنَّة أقوامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَة الطَيْرِ». م(٢٨٤٠)، حم (٨٣٩٠)، (٨٣٩١).

١٨٦٩- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زمامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». م(٢٨٤٢)، ت(٢٥٧٣).

١٨٧٠- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذه الَّتي يُوقدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ منْ سَبْعينَ جَزْءًا منْ حَرِّ جهَنَّمَ». قالوا: واللَّه إنْ كَانَتْ لكافيةً يَا رَسُولَ اللهِ. قال: فَإنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بتسْعَةٍ وَستِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مثْلُ حَرِّهَا». م (٢٨٤٣)، حم (٨١٣٢١).

١٨٧١- عن سَمُرةَ بنِ جندبٍ رضي الله عنه أنه سَمِع نبيَّ الله ﷺ يقول: «إنَّ منْهم مَن تَأْخُذُهُ النَّارِ إلَى كَعْبَيْه، وَمنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلى حُجْزَته، وَمنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى عُنُقه». م(٢٨٤٥)، حم (٢٠١٢٣).

حجزته: هي معقد الإزار والسراويل.

١٨٧٢- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافِرِ، أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وغِلَظُ جِلْدِه مسيْرةُ ثَلاثٍ». م(٢٨٥١)، حم (٨٣٥٣)، (٨٤١٨)، (١٠٣١).

١٨٧٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ». م (٢٨٥٤).

١٨٧٤- عن المستوردِ بنِ شدادٍ الفهري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «واللَّه مَا الدُّنيا في الآخرةِ إلا مثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هذه - وأشار يحيى بالسبابةِ - في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ». م(٢٨٥٨)، حم (١٨٠٣٠)، (١٨٠٣٤)، (١٧٠٣٦)، ت(٢٣٢٣)، جه (٤١٠٨)، حب (٤٣٣٠)، طب (٧١٣، ٧١٤، ٧١٦، ٧١٧/٢٠).

١٨٧٥- عن المقداد بنِ الأسود قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشمسُ يَوْمَ القيامة من الخَلْق حتى تكونَ منهم كَمقْدَارِ ميْلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قدرِ أعمالهم في العَرَقِ، فَمنْهُمْ من يكُونُ إلى كَعْبَيْه، وَمنْهم مَن يَكُونُ إلى رُكْبَتَيْه، وَمنهم مَنْ يكونُ إلى حَقْوَيْه، ومنهم من يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا». قال: واشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. م(٢٨٦٤)، حم (١٧٤٩١)، (١٧٤٩٧)، حب (٧٤٥٣)، الطيالسي (١٠٧٩)، طب (٩٨٧/١٧).

١٨٧٦- عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ قَبْلَ وفاته بِثَلاثٍ يَقُولُ: «لاَ يَمُوتَنَ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُو يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَنَّ». م(٢٨٧٧)، حم (١٤٢٧)، (١٤٤٨٨)، (١٤٥٣٩)، (١٤٥٨٦)، (١٥١٩٩)، د (٣١١٣)، جه (٤١٦٧) حب (٦٣٦) هق (٣/٣٧٨).

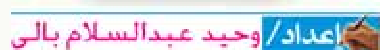
١٨٧٧- عن جابرِ بْنِ عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقولُ: «يُبْعثُ كُلُّ عبدٍ على مَا مَاتَ عليه». م(٢٨٧٨)، حم (١٤٥٥٠)، (١٤٩٤٦)، جه (٤٢٣٠)، أبو يعلى (١٩٠١)، (٢٢٦٩)، حب (٧٣١٩).

١٨٧٨- عن أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها وسُئلَتْ عن الجيش الذي يُخْسَفُ به وَكَانَ ذَلكَ في أيَّامِ ابنِ الزُّبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يَعُوذُ عَائذٌ بالبَيْت فَيُبْعَثُ إليه بَعْثٌ، فَإذَا كَانُوا بِبَيْداءَ منَ الأرض، خُسفَ بِهُ». فَقُلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ، فكيفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ ولَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ». م(٢٨٨٢)، حم (٢٦٥٤٩)، (٢٦٧٦٤)، (٢٦٨٠٩)، د(٤٢٨٩)، حب (٦٧٥٦).

من الآداب الإسلامية

آداب الطعام





إعداد/ وحيد عبدالسلام بالي



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الجانب السلوكي للمسلم هو الذي يظهر مدى تمسكه بتعاليم دينه، ولذلك سنسير إن شاء الله تعالى في هذه السلسلة المباركة التي تبين الآداب الإسلامية والتي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها في جميع شئونه الدنيوية والأخروية .

وسوف نبدأ بآداب الطعام لأن المسلم يحتاج اليها كل يوم أكثر من مرة:

آداب الطعام

١- التسمية في أوله:

عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ قال كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. [صحيح: رواه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢)].

- فإذا لم يذكر الله على طعامه نزعت البركة منه وأكلت معه الشياطين:

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ. [صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨)].

- وفي صحيح مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا.

٢- فإذا نسي أن يسمي في أول الأكل فليقل بسم الله أوله وآخره:

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ

في أوله وآخره، وفي رواية عن عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ. [صحيح: رواه الترمذي (١٨٥٨) وقال حسن صحيح].

٣- الأكل باليمين:

فعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ. [صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٠)].

وعَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: لاَ اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. [صحيح: رواه مسلم (٢٠٢١)]

٤- الأكل من الجانب الذي يليه:

في حديث عمر بن أبي سلمة السابق أن النبي ﷺ قال: «.. وكل مما يليك».

٥- الأكل من جوانب القصعة أو الطبق:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا. [صحيح: رواه أبو داود (٣٧٧٣) بسند حسن وهو صحيح بشواهده].

ذُرْوَتَهَا: الذُّرْوَة بِالضَّمِّ وَالْكَسْر أَعْلَى الشَّيْء وَالْمُرَاد الْوَسْط

وَالْبَرَكَة: النَّمَاء وَالزِّيَادَة وَمَحَلّهَا الْوَسْط فَاللائِق إِبْقَاؤُهُ إِلَى آخِر الطَّعَام لِبَقَاءِ الْبَرَكَة وَاسْتِمْرَارهَا وَلاَ يَحْسُن إِفْنَاؤُهُ وَإِزَالَته. [راجع شرح السندي على ابن ماجه (٣٢٧٥)].

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُلُوا فِي الْقَصْعَةِ مِنْ جَوَانِبِهَا وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهَا فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسْطِهَا. [صحيح: رواه أحمد (٢٣٧٥) بسند صحيح وعطاء بن السائب ثقة إلا أنه اختلط في آخر حياته ولكن سفيان الثوري روى عنه قبل الاختلاط].

٦- عدم الأكل متكئًا:

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا. [صحيح: رواه البخاري (٥٣٩٨)].

فيكره أن يأكل متكئًا لهذا الحديث.

وَاخْتُلِفَ فِي صِفَة الاتِّكَاء:

فَقِيلَ: أَنْ يَتَمَكَّن فِي الْجُلُوس لِلأَكْلِ عَلَى أَيِّ صِفَة كَانَ

وَقِيلَ: أَنْ يَمِيل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ.

وَقِيلَ: أَنْ يَعْتَمِد عَلَى يَده الْيُسْرَى مِنْ الأَرْض.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَى الْوِطَاء الَّذِي تَحْته، قَالَ: وَمَعْنَى الْحَدِيث إِنِّي لاَ أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَى الْوِطَاء عِنْد الأَكْل فِعْل مَنْ يَسْتَكْثِر مِنْ الطَّعَام ,فَإِنِّي لاَ آكُل إِلاَّ الْبُلْغَة مِنْ الزَّاد فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا. [أي: قد قعد فلانٌ مستوفزاً :أي قد قعد على وفز من الأرض والوفز ألاّ يطمئن في قعوده ويقال قعد على أوفاز من الأرض].

قال ابْن الأَثِير: إِنَّ مَنْ فَسَّرَ الاتِّكَاء بِالْمَيْلِ عَلَى أَحَد الشِّقَّيْنِ تَأَوَّلَهُ عَلَى مَذْهَب الطِّبّ بِأَنَّهُ لاَ يَنْحَدِر فِي مَجَارِي الطَّعَام سَهْلاً وَلاَ يُسِيغهُ هَنِيئًا وَرُبَّمَا تَأَذَّى بِهِ.

قلت: فعلى هذا يجوز الأكل متربعًا من غير كراهة لأنه لم يثبت نهي عنه وليس هو من الاتكاء إلا إذا جلس على وسادة ونحوها على تفسير الخطابي.

٧- أن لايعيب طعامًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلاَّ تَرَكَهُ. [صحيح: رواه البخاري (٣٥٦٣) ومسلم (٢٠٦٤)].

قال الإمام النووي رحمه الله: قَوْله: (مَا عَابَ رَسُول اللَّه ص ﷺ طَعَامًا قَطُّ ,كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ ,وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ) هَذَا مِنْ آدَاب الطَّعَام الْمُتَأَكِّدَة. وَعَيْب الطَّعَام كَقَوْلِهِ: مَالِح , قَلِيل الْمِلْح ,حَامِض ,رَقِيق ,غَلِيظ ,غَيْر نَاضِج ,وَنَحْو ذَلِكَ. وَأَمَّا حَدِيث تَرْك أَكْل الضَّبّ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ عَيْب الطَّعَام إِنَّمَا هُوَ إِخْبَار بِأَنَّ هَذَا

الطَّعَامَ الْخَاصّ لاَ أَشْتَهِيه. [شرح النووي لمسلم (٢٠٦٤)].

٨- عدم الشبع

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ. [صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٠) وقال: حسن صحيح].

[وقال طبيب العرب ابن كلدة: المعدة بيت الداء].

٩- عدم النفخ في الطعام و الشراب:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. [صحيح: رواه أحمد حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به وهذا سند صحيح].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ فَقَالَ رَجُلٌ: الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ ؟ قَالَ: أَهْرِقْهَا، قَالَ: فَإِنِّي لاَ أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ، قَالَ: فَأَبِنْ الْقَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ.

الْقَذَاة: الوسخ.

أهرقها: أرقها وصبها.

أَبِن الْقَدَحَ: أبعده.

عن فيك:عن فمك.

١٠- عدم ترك اللقمة الساقطة:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ. [صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣)].

١١- عدم القران في التمر ونحوه إذا كان يأكل مع أحد إلا بإذنه:

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقْرُنَ الرَّجُلُ بَيْنَ التَّمْرَتَيْنِ جَمِيعًا حَتَّى يَسْتَأْذِنَ أَصْحَابَهُ. [صحيح: رواه البخاري (٢٤٨٩)ومسلم (٢٠٤٥)].

ويدخل فيه كل ما يؤكل بالحبة أو بالقطعة.

١٢- الحمد بعد الطعام:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا. [صحيح:رواه أبو داود (٣٨٥١) بسند صحيح].

أطعم وسقى: رزقنا الطعام والشراب.

سوغه:سهل دخوله وجعل الجسم يقبله ولا يتضرر به فمريض السكر يتضرر به، ومريض النقرس يتضرر باللحم.

مَخْرَجًا: أَيْ مِنْ السَّبِيلَيْنِ فيخرج منهما الضار وتبقى منافعه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا. [صحيح: رواه البخاري (٥٤٥٨)].

طَيِّبًا: أَيْ خَالِصًا مِنْ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَة.

مُبَارَكًا: حَمْدًا ذَا بَرَكَة دَائِمًا لاَ يَنْقَطِع لأَنَّ نعمه لاَ تَنْقَطِع عَنَّا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُون حَمْدنَا غَيْر مُنْقَطِع أَيْضًا وَلَوْ نِيَّة وَاعْتِقَادًا.

غَيْرَ مَكْفِيٍّ: لا يكفيه أحد رزق عباده يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُطْعِم لِعِبَادِهِ وَالْكَافِي لَهُمْ فَالضَّمِير رَاجِع إِلَى اللَّه تَعَالَى.

وَلاَ مُوَدَّعٍ: غَيْر مَتْرُوك.

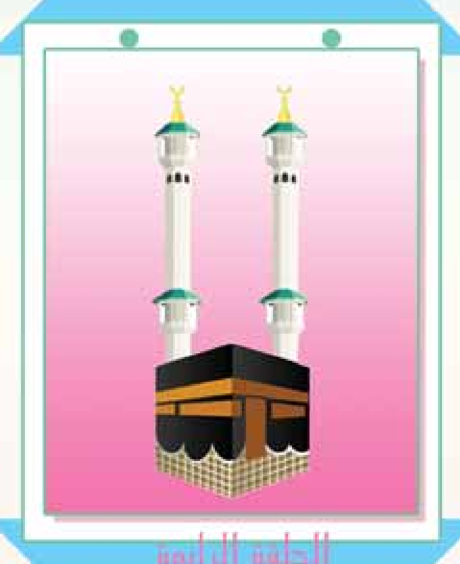
وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ: غَيْر مَطْرُوح وَلاَ مُعْرَض عَنْهُ بَلْ مُحْتَاج إِلَيْهِ.

رَبَّنَا: بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَر مُبْتَدَأ مَحْذُوف أَيْ هُوَ رَبّنَا، ويجوز نصبه على المدح ولا اختصاص.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَمَانَ سِنِينَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ. [صحيح: رواه أحمد (٤ / ٦٢ / 5 , 375) بسند صحيح]

أقنيت: أرضيت.

وإلى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله.



من الآداب الإسلامية

الاستئذان

الحلقة الرابعة

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه... وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً في أحكام وآداب الاستئذان، وقد ذكرنا منها: مفهوم الاستئذان، وحكم الاستئذان، والحكمة منه، وصفة الاستئذان، ونكمل ما بقي عن صفة الاستئذان:

ز- الرجوع عند عدم الإذن:

على الإنسان أن يرجع من حيث أتى، إذا قيل له: ارجع، أو لم يجد أحداً في الدار، وذلك لقوله تعالى: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» [النور: ٢٨].

١- اعتذار صاحب البيت:

ربما كان في البيت صاحبه، لكنه لم يشأ أن يرد على المستأذن، فيصدق على المستأذن أنه لم يجد فيها أحداً، ودلَّ على الاعتذار الصريح قوله عز وجل: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ».

فإن استأذن شخص ثلاثاً، وسُكِتَ عنه، يجب عليه أن ينصرف بعد الثلاث ؛ لما رواه البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنتُ في مجلس من مجالس الأنصار إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا استأذن أحدُكُم ثلاثاً فلم يؤذن له، فليرجع..».

أما إذا قيل للمستأذن: ارجع، فالواجب الانصراف فوراً، وهو على يقين أن هذا أفضل له، لقول الله تعالى: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لكم». جاء في تفسير الطبري، عن قتادة: قال رجل من المهاجرين: لقد طَلَبْتُ عُمري كُلَّهُ هذه الآية فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: «ارجع» فأرجعُ وأنا مغتبط ؛ لقوله تعالى: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ».

فإذا اعتذر صاحب البيت عن استقبال صاحبه فليقبل عذره، فقد يكون لديه أشغال له - دينية، أو دنيوية - وغير مستعد لاستقبال أحد.

فالواجب على من لم يُؤذن له أن ينصرف فوراً، ولا يجوز له أن يقف على الباب، ولا يُلِحَّ بالاستئذان، أو يتكلم بقبيح الكلام، ولا يقعد على الباب لينتظر، لأن للناس حاجات، واشغالاً في المنازل.

وإذا كان المستأذن لا يفقه هذه الآداب الشرعية: وإذا كان الإنسان يتردد عليه قوم لا يفقهون هذه الآداب، ولا يتحملون أن يقال لهم: «ارجعوا» فلا يجوز في هذه الحالة أن يقول لولده قل لهم: «أبي غير موجود» لأنه عند ذلك يقع في كبيرة الكذب، ولا يتسنى لهذا الأب بعد ذلك أن يأمر أولاده بفضيلة الصدق، وينهاهم عن الكذب، لأنه وقع فيه، ولذا راعت الشريعة السمحة في هذه الحالة تخفيف الحرج عن الناس وأباحت المعاريض، وقد جاء عن السلف: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

فيشرع لمن تحرَّج من مقابلة أحد أو استضافته، أن يستعمل التعريض، فعن المغيرة قال: كان إبراهيم النخعي إذا طلبه إنسان لا يحب لقاءه، خرجت الجارية، فقالت: اطلبوه في المسجد.

وجواز التعريض مباح عند الحاجة إليه، وليس على الإطلاق، وعلى صاحب الدار أن يتجنب

التعريض أمام الأطفال الذين هم في غفلة عن فقه التعريض، ولن يفهموا منه إلا أن أباهم يأمرهم بالكذب، وفي هذه الحالة يعتذر ضمنًا بالسكوت، وعدم الرد.

٢- عدم وجود من يملك إذن الدخول:

الإسلام أمر باحترام البيوت في غياب أصحابها، فلا يحل لأحد دخولها في أثناء غيابهم، أو غياب من يملك إذن الدخول.

فلو كان بداخل البيت امرأة ليس معها محرم، حرمت الشريعة الدخول عليها، حتى لو أذنت هي بالدخول، لأن في الدخول عليها خطرًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا يؤدي إلى الوقوع في الحرام، فحرصًا على تهيئة المناخ الإسلامي، والابتعاد عن كل ما يثير الشهوات، ويجلب القيل والقال، حرمت الشريعة الإسلامية الدخول في هذه الحالة «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا» أصلاً، أو وجدتم ممن لا يملك الإذن «فَلَا تَدْخُلُوهَا». روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو ؟ قال ﷺ: «الحمو الموت». والحمو: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ؛ لأنه إذا دخل فخلا بالمرأة كان ثالثهما الشيطان، وبحضوره تكون المعصية.

والمرأة الأجنبية: هي من ليست زوجة ولا من ذوات المحارم، والمقصود بذات المحارم، هي كل امرأة تحرم على الرجل على التأبيد، إما بالقرابة أو الرضاعة أو المصاهرة، فلا يجوز الدخول على المرأة التي يحل للرجل أن يتزوجها حالاً أو مستقبلاً بعد زوال المانع المؤقت، وهن المحرمات حرمة مؤقتة.

روى البخاري ومسلم وأحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجَّة واكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: «ارجع فحجَّ مع امرأتك». وفي بعض الروايات عن ابن عباس أيضًا قال ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم».

قال الحافظ ابن حجر: «ولا يدخل عليها إلا ومعها محرم». فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع.

وقال الإمام النووي: وإما إذا خلا الأجنبيّ بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام. باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يُستحى منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده كالعدم. اهـ.

فقد أجمع الفقهاء على أن الخلوة بالأجنبية محرمة، فلا يخلون رجل بامرأة ليست منه بمحرم ولا زوجة، لأن الشيطان يوسوس لهما في الخلوة بفعل ما لا يحل.

روى ابن ماجه والنسائي والترمذي والبيهقي وأحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم، فقال: «استوصوا بأصحابي خيرًا.. لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما». يعني: بالوسوسة وتهييج الشهوة ورفع الحياء وتسهيل المعصية، وليس هناك رادع إلا خوف الله وليس بمتمكن في كل قلب فحسم الباب بالمنع من ذلك.

وإذا كان النظر المفضي إلى الفتنة محرمًا وهو أقل من الخلوة كانت خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية محرمة من باب أولى.

قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» [الأحزاب: ٥٣].

فالآية تضمنت أمرًا من الله تعالى لكل رجل أنه إذا سأل امرأة حاجة أن يسألها من وراء حجاب لعدم الاختلاط المفضي إلى الفاحشة.

وروى مسلم والنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم».

فيحرم على الرجل الأجنبي أن يبيت عند امرأة أجنبية إلا إذا كان زوجًا أو ذا محرم.

والحديث خص الثيب لكونها التي يدخل إليها غالبًا، وأما البكر فمصونة متصونة في العادة مجانبة للرجال أشد مجانبة فلم يحتج إلى ذكرها، وهذا من باب التنبيه، لأنه إذا نهى عن الثيب التي يتساهل الناس في الدخول عليها في العادة فالبكر أولى. (راجع شرح صحيح مسلم للنووي ٧ / ٤٠٩).

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي في السنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «لا تلجوا على المُغيبات - وهي التي غاب عنها زوجها - فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم». قلنا: ومنك يا رسول الله ؟ قال: «ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم».

فالحديث يفيد أنه لا يجوز للرجل أن يدخل على امرأة متزوجة في حالة غيبة زوجها، وهذا يفيد أنه لا يجوز الاختلاط بالمرأة، وفقهاء الحنابلة يرون حرمة خلوة الرجل مع عدد من النساء أو العكس كأن يخلو عدد من الرجال بامرأة.

وللحديث بقية وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الشيعة والقرآن

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن أهل السنة مجمعون على صيانة كتاب الله عز وجل من التحريف والتبديل - بالزيادة أو النقص - فهو محفوظ بحفظ الله له، يقول سبحانه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]

وذهبوا كذلك إلى أن من اعتقد أن القرآن فيه زيادة أو نقص فقد كفر كفرًا بواحًا، يقول ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد»: «ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر». (ص١٩).

وقال ابن حزم : «القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول الله ﷺ». (الفصل: ص٤٠).

وبهذا الحكم قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول» (ص٥٨٦): «من زعم أن القرآن نُقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم».

ومع وضوح ذلك المعتقد، إلا أن علماء الشيعة البارزين راحوا يطعنون في كتاب الله الكريم ويزعمون أن الصحابة الأطهار كتموا وحرفوا لأجل أن يسلبوا الحق من أهله - فسورة الولاية وسورة النورين - سورتان أو كلمتان كتمهما الصحابة الأبرار لأنهما يحدثان عن ولاية علي بن أبي طالب، فالقرآن الكامل عند الشيعة الاثنى عشرية المسمى مصحف فاطمة إنما هو عند المهدي المنتظر في سرداب سامراء، ولأن هذا الاعتقاد كفر صريح وتكذيب لله ولرسوله ﷺ كان لابد من بيانه ليهلك من هلك عن بينة.

أولاً: الأسباب التي دفعت الشيعة إلى القول بتحريف القرآن:

أ- عدم ذكر الإمامة في القرآن الكريم:

تُعد لأنها أحد أركان الإسلام عند الشيعة، فالإمامة من المعتقدات الأساسية عندهم والتي يكفر منكرها، وبهذا المعتقد صرح علماء الشيعة البارزون.

يقول الكاشاني في «منهاج الجنان» (ص٤٨): «ومن حجة إمامة أحدهم - أي الأئمة الاثنى عشرية - فهو بمنزلة حجة نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام».

وقال الخميني: «إن ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال يعتبر من الأمور المسلمة، بل تكون من ضروريات مذهب التشيع». (الأربعون حديثًا للخميني ص٦٣١). وبهذا القول قال محمد باقر المجلسي وأبو القاسم النجدي وغيرهم من علمائهم البارزين.

ب- ثناء القرآن على أصحاب الرسول ﷺ وعلى رأسهم المهاجرين والأنصار، وهذا يناقض معتقد الشيعة الذين يكفرون الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان، ولأن القرآن أثنى على الصحابة ومدحهم فلا شك في القول بتحريفه عند الشيعة، وإليك نماذج من أقوال الشيعة في الصحابة وتكفيرهم:

١- قال نعمة الله الجزائري: «إن أبا بكر كان يصلي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلق في عنقه وسجوده له». (الأنوار النعمانية ١ / ٥٣).

٢- قال زين الدين النباطي: «عمر بن الخطاب كان كافرًا يبطن الكفر ويظهر الإسلام». (الصراط المستقيم ٣ / ١٢٩).

٣- قال محمد باقر المجلسي: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة، فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم». (مرآة العقول ٢٦ / ٢١٣).

٤- أفرد زين الدين النباطي في كتابه فصلين سمى الأول منهما: فصل في أم الشرور عائشة أم المؤمنين والآخر حفصة للطعن في عائشة وحفصة

رضي الله عنهما. (الصراط المستقيم ٣ / ١٦١، ١٦٨).
جـ- أما السبب الثالث للقول بتحريف القرآن عند الشيعة فهو عدم ذكر الأئمة وفضائلهم ومعجزاتهم وفضائل قبورهم في القرآن الكريم:
وإذا ما أردنا أن نذكر معتقدات الشيعة في أئمتهم وغلوهم فيهم يطول بنا المقام، لذا سنذكر قليلاً من تلك المعتقدات:
١- أنهم أفضل من الأنبياء. (المجلسي، البحار ٢٦ / ١٣٩).
٢- أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم. (المجلسي - البحار ٢٦ / ٢٩).
٣- أنهم يعتقدون قدرتهم على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء. (المصدر السابق ٢٦ / ٢٩).
٣- أنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنهم عرض عليهم ملكوت السماوات والأرض، ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة». (الكليني - الكافي ١ / ٣١٦).
٥- أنهم أمان لأهل الأرض من العذاب. (البحار ٢٧ / ٣٠٠).
٦- أنهم يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم. (الكافي ١ / ٣١٣).
٧- أنهم يعلمون منطق الطيور والبهائم. (البحار ٢٧ / ١٦١).
وهذا الغلو الفاضح هو معتقد الشيعة في أئمتهم، ولأن القرآن لم يذكر تلك المناقب في زعمهم فهو محرف ومبدل.
ثانيًا: علماء الشيعة المصرحون بأن القرآن محرف وناقص:
١- القمي صرح في أكثر من موضع في تفسيره بأن القرآن محرف وناقص، ومن ذلك قوله في ١ / ٣٧، وأما ما هو محرف فهو قوله: «لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون» [النساء: ١٦٦].
وقوله: «إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم» [النساء: ١٦٨].
وقوله: «ويعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون» [الشعراء: ٢٢٧].
٢- صرح نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» أن الصحابة بعد النبي ﷺ غيروا وبدلوا في الدين كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه مدائح آل الرسول ﷺ والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين...».
٣- أما الفيض الكاشاني المفسر المشهور عند الشيعة فقال في تفسيره الصافي: «والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة ؛ منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع، ومنها لفظ آل محمد ﷺ غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضي عند الله وعند رسول الله ﷺ». (الصافي ١ / ٤٩).
٤- يزعم الطبرسي في كتابه «الاحتجاج» أن الله تعالى عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن صرح بأسماء مرتكبيها، لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء، فضلاً عن قوله: إن في القرآن رموزًا فيها فضائح المنافقين، وهذه الرموز لا يعلم معانيها إلا الأئمة من آل البيت، ولو علمها الصحابة لاسقطوها مع ما أسقطوا منه». (١ / ٢٥٣).
٥- أما محمد باقر المجلسي فيرى أن أخبار تحريف القرآن متواترة ولا سبيل إلى إنكارها. (راجع مرآة العقول للمجلسي ١ / ٥٢٥).
٦- أما المفيد الذي يعتبر من مؤسسي المذهب الشيعي فقد قال بتحريف القرآن على مرحلتين:
الأولى: قال في كتابه «أوائل المقالات»: «اتفقت الإمامية أن الصحابة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ».
٨- الثانية: قال في كتابه «المسائل السرورية»: «إن الموجود من القرآن الآن هو جمهور المنزل والباقي المستحفظ للشريعة المستودع للأحكام».
يقصد المهدي،والمفيد يدندن في كتابه هذا حول قضية المصحف الحقيقي الذي جمعه علي رضي الله عنه لا الذي جمعه عثمان، وأن مصحف علي عند الإمام الغائب الذي دخل السرداب ولم يخرج وسيخرج ومعه المصحف الذي حرفه الصحابة وبدلوا فيه. (راجع تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٤٩، ٥٠).
وبذات القول قال الجزائري في الدرر النجفية ج٧ والطبرسي في كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب».
وغيرهم الكثير مما يدل على أن عقيدة تحريف القرآن عند الرافضة من المتفق عليه عندهم وإن قال قائل منهم بغير هذا فهو من باب التقية التي هي من دينهم ودين آبائهم وأجدادهم.
والله من وراء القصد.



يا مَن ترتدين البنطلون

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، وجعلنا خير أمة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله تعالى بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإننا نحب الخير والسعادة لكل مسلمة كريمة، كما نحب ذلك لنسائنا ونغار عليهن، ويؤذينا ما يؤذيها، لأنها أخت لنا في الإسلام، فإلهنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، هو القرآن الكريم، من أجل ذلك كتبت هذه الكلمات الموجزة تذكرة لأخواتي المسلمات الكريمات وأولياء أمورهن الأفاضل الكرام، راجيًا من الله تعالى أن تكون هذه الكلمات قد خرجت من قلب صادق، خالصة لوجهه الكريم وحده

١- مرافقة نبينا محمد ﷺ في الجنة:

أختي المسلمة الكريمة: يا من ترغبين في مرافقة نبينا محمد في الفردوس الأعلى من الجنة، إن كنت ترتدين البنطلون طلبًا لرضا الناس وثنائهم عليك بأنك امرأة عصرية تساير الحضارة المعاصرة، فقد جانبك الصواب، لأن سعادتك الحقيقية إنما تكون بطاعتك لله تعالى، الذي خلقك ورزقك العقل والصحة والجمال، فاحذري أختي الكريمة أن ترضي الناس بسخط الله تعالى وغضبه عليك بإصرارك على ارتداء البنطلون خارج بيتك.

روى الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «من التمس (أي: طلب) رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» (أي: سلط الله الناس عليه حتى يؤذوه). (صحيح الترمذي للألباني ح١٩٦٧).

اعلمي أختي الفاضلة: أن الله تعالى إذا أحب عبدًا رضي عنه، وأرضى عنه أهل السماء والأرض.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله

قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض.
(البخاري ح٧٤٨٥).

٢- الاقتداء بزوجات نبينا ﷺ :

أختي المسلمة الكريمة الفاضلة، يا من شرفك الله تعالى بالإسلام:

ألا تحبين أن تتشبهي بأزواج نبينا محمد ﷺ فترتدين مثلهن الحجاب الواسع الفضفاض الذي لا يحدد شكل البدن ومفاتنه، ولا يظهر شيئًا من بدنك، فتكونين مرافقة لهن في الجنة إن شاء الله تعالى، وتذكري دائمًا ما رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».
(صحيح أبي داود للألباني ح٣٤٠١).

٣- الحياء من الإيمان:

أختي المسلمة الكريمة: أيتها العفيفة الشريفة، ألا تشعرين بالخجل عندما تتخطفك أنظار الرجال (إلا من رحمه الله تعالى وغض بصره) بسبب ارتدائك البنطلون الضيق الذي يحدد معالم بدنك، وتذكري يا بنت الإسلام ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان». (البخاري ح٩، ومسلم ح٣٥).

٤- طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ سبيل الجنة:

أختي المسلمة الكريمة: لا شك أنك تحبين الله تعالى ورسوله ﷺ، وترغبين في دخول الجنة، فاحرصي على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ في جميع أقوالك وأفعالك واتقي الله تعالى في ثيابك التي تخرجين بها من منزلك وسلي نفسك قبل خروجك من بيتك، هل هذه الثياب هي التي يرضى عنها الله تعالى أم لا ؟

وتذكري دائمًا قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» [الأحزاب: ٥٩].

٥- لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى:

أختي المسلمة الفاضلة: يا حفيدة أمهات المؤمنين، يا من ترتدين البنطلون خارج بيتك طاعة لوالديك أو لزوجك أو لأصدقائك، اعلمي أن والديك أو زوجك أو أصدقاءك أو الناس جميعًا لن يغنوا عنك من الله شيئًا، قال الله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» [عبس: ٣٣- ٣٧].

فاحذري أيتها الكريمة أن تطيعي أحدًا من الناس في معصية الله تعالى.

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله». (مسند أحمد ٥ / ٦٦).

٦- طاعة الله تعالى سبيل الأرزاق:

أختي المسلمة الكريمة: اعلمي أن الإسلام قد كرمك ورفع من شأنك، فأنت لك مكانة سامية في الإسلام، فإن كنت ترتدين البنطلون خارج بيتك طلبًا للزواج فقد جانبك الصواب، وذلك لأن الزواج بالرجل الصالح رزق من عند الله تعالى وحده، والأرزاق لا يحصل عليها المسلم بمعصية الله تعالى.

روى أبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته». (صحيح الجامع: ح٢٠٨٥).

٧- هل البنطلون هو الحجاب الشرعي للمرأة؟

أختي الكريمة: يا من تحبين الله ورسوله، وتريدين شربة هنيئة من يد نبينا ﷺ، لا تظمئين بعدها أبدًا، أسألك سؤالاً واحدًا وحاولي الإجابة عليه بصدق: هل البنطلون الذي تخرجين به من بيتك هو الحجاب الذي أمرك الله به ؟

أختي الفاضلة: سوف أحاول أن أجيب لك عليه بإيجاز شديد فأقول:

من المعلوم أن البنطلون من ثياب الرجال المعتادة منذ قديم الزمان، وارتداء المرأة له وخروجها به إلى أماكن العمل والأسواق فيه تشبه بالرجال، وقد نهاك رسولنا ﷺ عن التشبه بالرجال، وهذا إذا كان البنطلون واسعًا، فماذا نقول ومعظم البناطيل التي تخرج بها النساء - خاصة المراهقات منهن - ضيقة وتحدد أعضاء الجسم.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء». (صحيح أبي داود ح٣٤٥٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل». (صحيح أبي داود: ح٣٤٥٤).

وعن ابن أبي مليكة قال: قيل لعائشة: إن امرأة تلبس النعل، فقالت: لعن رسول الله ﷺ الرَّجُلَة من النساء. (صحيح أبي داود: ح٣٤٥٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والمتشبهة بالرجال، والديوث». (صحيح الجامع ح٣٠٧١).

و«الديوث»: الرجل الذي لا يغار على نسائه.

أختي المسلمة: هل بعد هذا تصرين على ارتداء البنطلون خارج بيتك؟!

٨- فتوى دار الإفتاء المصرية في ارتداء النساء البنطلون:

قال الدكتور نصر فريد واصل (مفتي جمهورية مصر العربية، السابق): لبس المرأة البنطلون المفصل لجسدها حرام شرعًا، وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور في الآخرة فهي عقوبة شديدة، والتبرج والسفور من الكبائر شرعًا، لأنه يؤدي إلى انتشار الفساد وإشاعة الفاحشة في المجتمع. (فتوى دار الإفتاء المصرية المسجلة برقم ٤٢١ / ١٥٨ تحت السؤال ١١٧٥ / ٢٠٠١ تاريخ ١١ / ١٠ / ٢٠٠١).

٩- التحذير من المشاركة في إشاعة المعصية في المجتمع المسلم:

أختي الكريمة الفاضلة: اعلمي أن ارتداء النساء للبناطيل الضيقة، التي تحدد أعضاء جسم المرأة، وتثير شهوات الرجال والشباب، المتزوجين وغير المتزوجين، من إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، فاحذري أن تكوني واحدة منهن، وضعي أمام عينيك وعيد الله تعالى بالانتقام من الذين يشاركون في انتشار الفاحشة، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [النور: ١٩].

١٠- احذروا الذئاب البشرية:

أخي المسلم الحبيب: يا من اشتريت البنطلون لكريمتك من مالك، وسمحت لها أن تخرج به أمام الناس، أسألك سؤالاً وحاول أن تجيب عليه بصدق، أما تخشى على ابنتك أن يتتبعها أحد ذئاب البشر فيعتدي عليها ويدنس شرفك، فتندم حين لا ينفع الندم وتبكي حين لا ينفع البكاء؟

إن كثيراً من أولياء أمور النساء يتهاونون في هذه الأمور حتى تقع نساؤهم في الفتن.

١١- أولياء أمور النساء هم المسئولون عنهن أمام الله تعالى:

أخي المسلم الكريم: إني أخاطب فيك إيمانك بالله تعالى وحبك لنبينا ﷺ، اعلم أنك مسئول عن هذه المرأة التي تحت رعايتك، فاحرص على تأديبها بآداب الإسلام، واجعلها تلتزم بارتداء الحجاب الشرعي عند خروجها من البيت، واعلم أن ذلك ينجيك وكريمتك من غضب الله تعالى وأليم عقابه، وتذكر دائمًا قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» [التحريم: ٦].

أخي الكريم: اعلم أنك سوف تقف وحدك بين يدي الله تعالى يوم القيامة فيسألك عن هذه المرأة، فهل أعددت لهذا السؤال جوابًا؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته». (البخاري: ح٢٥٥٨).

١٢- صنفان من أهل النار:

أختي الكريمة الفاضلة: يا من ترتدين البنطلون الضيق الذي يحد أعضاء جسدك، إني أخشى أن ينطبق عليك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (مسلم: ح٢١٢٨).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين.

وقوله ﷺ: «ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة». قيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، وأما مائلات فقيل: معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، مميلات: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمتشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا، مميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رءوسهن كأسنمة البخت: أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة، أو عصابة، أو نحوها. (مسلم بشرح النووي ٧ / ٣٦٣).

١٣- التوبة الصادقة:

أختي الكريمة: يا بنت الإسلام، يا من تريدين السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، ماذا تنتظرين؟ أسرعي الآن إلى منزلك وانزعي عنك بنطلون المعصية، وارتدي حجاب الطاعة الواسع الفضفاض، الذي لا يصف شيئًا من جسدك، وتوبي إلى الله تعالى توبة نصوحًا، فإن الله يتوب على من تاب.

قال تعالى: «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [المائدة: ٣٩]، وقال جل شأنه: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [النور: ٣١]، وقال سبحانه: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» [الشورى: ٢٥].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها. (مسلم: ح٢٧٥٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (مسلم ح: ٢٧٤٧).

١٤- الموت يأتي فجأة:

أختي المسلمة الكريمة: يا من ترتدين البنطلون خارج بيتك، أما تخشين أن يأتيك الموت فجأة وأنت على هذه المعصية ؟

فلا يعلم أحد متى ولا أين أو كيف سينتهي أجله.

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [لقمان: ٣٤].

واعلمي أختي الفاضلة أن الموت هو نهاية كل المخلوقات، فما أجمل أن يموت الإنسان على طاعة الله تعالى.

قال الله سبحانه: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» [آل عمران: ١٨٥].

١٥- كل إنسان يقف وحده للحساب أمام الله يوم القيامة

أختي المسلمة الكريمة: يا من تحبين نبينا محمدًا ﷺ وتطمعين في شفاعته يوم القيامة، اعلمي أن ارتداء البنطلون خارج بيتك معصية لله تعالى، فاجتنبي معاصي الله، واعلمي أنك سوف تقفين وحدك للحساب أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وسيسألك عن ارتداء البنطلون خارج بيتك، فهل أعددت أيتها الكريمة لهذا السؤال جوابًا؟ وتذكري دائمًا قول الله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» [الأنعام: ٩٤].

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». (البخاري: ح٦٥٢٩، ومسلم: ح١٠١٦).

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به أخواتي المسلمات، وأولياء أمورهن الكرام، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.





إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فمرَّ بنا الحديث عن دعاء نبي الله زكريا وكيف توجه إلى ربِّه ومتى؟ ولماذا؟ ومن تأمل قصة هذا النبيِّ الكريم يجد:

أولاً: الدعاء قضية محورية فيها، ففي جميع المواضع التي ذكرت فيها القصة في كتاب الله نلاحظ هذا:

- ففي سورة مريم، قال تعالى: «ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» الآيتان: ٢، ٣، ثم فصلت الآيات بعد ذلك ماذا أسرَّ نبي الله زكريا في نفسه في مناجاته لربه.
- وفي سورة آل عمران قال تعالى: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ» [٣٨]، ثم بينت الآيات ماذا قال وماذا ترتب على الدعاء، وكذلك في سورة الأنبياء «وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ» [٨٩].

وهكذا فإنك ترى قصة زكريا محورها الدعاء وكيفيته وماذا ترتب عليه. وقدمنا في اللقاء السابق الدعاء وكيفيته وجانبًا من آدابه.

ثانيًا: ثمرات الدعاء:

ولا تظن بذلك أننا نبالغ، كلا وربي، فالدعاء هو العبادة وهو الدواء لجميع الأدواء وبخاصة عند انعدام الأسباب الأخرى أو ضعفها، وانظر حال النبي ﷺ يوم بدر وهو يرى ضعف الأسباب المادية، أمام قوة العدو المادية فلم يكن أمامه بعد أن أعد ما استطاع إلا التوجه والضراعة إلى من بيده الملك والملكوت والذي قال له: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»، وكانت حالة زكريا من هذا القبيل، فهو قد بلغ من الكبر عتيًا وامرأته عاقر فتوجه بدعائه ملتمسًا ما عند الله راجيًا ألا يرده ربه صفرًا: «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» [مريم: ٤-٦].

وزكريا عليه السلام لم يقل ذلك بلسان المقال، ولكنه قاله بلسان الحال؛ لأن دعاءه كان خفيًا، لكن الله العلي علم الدعاء الخفي من صاحب القلب النقي فأجابه إلى طلبه بأسرع ما يتوقع، وبأفضل مما طلب، انظر معي

أخي الكريم في الآيات الكريمة التالية وتأمل ما فيها، قال تعالى: «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا» [مريم: ٧]، وقال تعالى: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» [مريم: ١٢]، وقال تعالى: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» [آل عمران: ٣٩].

تأمل كيف أجابه الله إلى مطلوبه بسرعة وبأكثر مما طلب، فقد سماه الله يحيى ولم يجعل له من قبل سميًا وآتاه الحكم صبيًا وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين، على درجة عالية من الزهد في الدنيا والنساء، وإمامًا في الصلاح والتقى، وسنأتي للحديث عن ذلك عندما نتحدث عن يحيى عليه السلام، لكن الملاحظ سرعة الاستجابة، وكمالها لدرجة اندهش معها زكريا، كما أن إتيان الإجابة على هذا النحو وبهذه الصفات المصاحبة للمولود يؤكد صحة قول من ذهب إلى أن الميراث الذي كان يقصده زكريا في دعائه هو ميراث النبوة والحكمة، وبهذا أجابه الذي يعلم السر وأخفى.

ثالثًا: قال تعالى: «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» [مريم: ٨].

وقال تعالى: «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ» [آل عمران: ٤٠].

ذكرنا أن سرعة إجابة دعاء زكريا وورود الإجابة على هذا الوصف الذي كان يطلبه زكريا ويتمناه بل أفضل جعل زكريا عليه السلام في دهشة من أمره، أو قل: إنه رأى نفسه أهون على الله من ذلك، وهذا من باب التواضع، وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين، وقال صاحب التحرير والتنوير: «أنى» استفهام مستعمل في التعجب، والتعجب مكنى به عن الشكر، فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة. اهـ.

فهو يرى أن التعجب هنا كناية عن الشكر والذي عليه جمهور المفسرين أن «أنى» بمعنى «كيف»، فزكريا عليه السلام يسأل عن الكيفية التي سيرزق بها الولد وهو على ما هو عليه من كبر السن ووهن العظم وامرأته لا تلد ؟ هل سيتزوج بأخرى أم سيرزق الولد من زوجته هذه ؟ قال: لا، بل سترزق الولد من زوجتك هذه وليس من أخرى، وهذا أمر على الله هيِّن، والله سبحانه يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء ويختار، قال تعالى: «قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» [آل عمران: ٤٠]، وقال تعالى: «قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» [مريم: ٩].

فالله سبحانه وتعالى له القدرة المطلقة والمشيئة النافذة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، «إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ» [مريم: ٣٥].

رابعًا: وقد جاء تعليل الإجابة في سورة الأنبياء بقوله تعالى: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠].

نقل ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر - رضي الله عنه - ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرهبة بالرغبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».

وسواء كان هذا الثناء خاصاً بزكريا وآل بيته أم بجميع الأنبياء المذكورين من قبل، فإن زكريا وآل بيته داخلون فيه ولا شك، وفي هذا دليل على أن من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة، وأن الله إنما يتقبل من المتقين، ولما كانت زوجه من الخاشعات لله قلبًا أصلحها قالبًا فجعلها محلاً لكرامته وهيأها لحمل نبي من أنبياء الله الكرام سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين.

خامسًا: من أهم الدروس المستفادة:

أهم الدروس المستفادة من قصة زكريا هو الدعاء ومكانته وأهميته وآدابه وثمرته.

يقول ابن القيم - رحمه الله - في الداء والدواء: «والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن». اهـ.

وذكر حديثًا رواه الحاكم من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين ونور السماوات والأرض». والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٧٩).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستجعل». هذا هو الدعاء وهذه مكانته، وكم نحن بحاجة إليه في دفع ضرٍ أو جلب نفع لا يملك دفعه وجلبه إلا الله، لكن يبقى السؤال: أين القلب التقي والداعي النقي، أين الذين يدعون ربهم رغبًا ورهبًا ويسارعون في الخيرات وهم خاشعون ؟

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلني وإياكم منهم، آمين.



من نور كتاب الله

ثمرات الاستجابة

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» [الأنفال: ٢٤].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان». [صحيح البخاري].

من دلائل نبوته ﷺ

عصمة الله لنبيه من أعدائه

عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه (أي سلَّهُ)، فقال الرجل: تخافني ؟ قال النبي ﷺ: «لا». قال الرجل: فمن يمنعك مني ؟ قال النبي ﷺ: «الله».
وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي فقال: من يمنعك مني ؟ قال: «الله».
قال: فسقط السيف من يده، فأخذ النبي السيف فقال: «من يمنعك مني؟». [صحيح البخاري].

من فضائل الصحابة

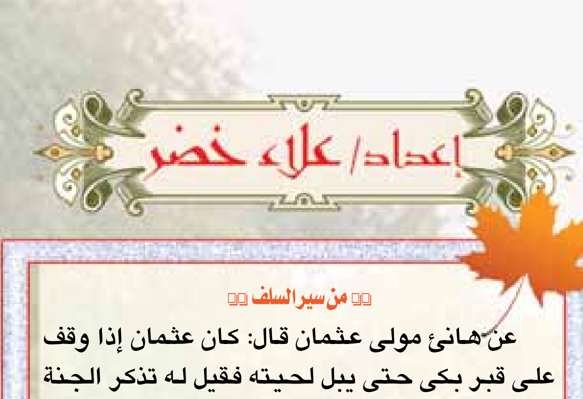
عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائش ، هذا جبريل يقرئك السلام». فقلتُ: وعليه السلام، ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى تريد رسول الله ﷺ.

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمدٍ ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر له الخوارج، واجتهادهم وصلاحهم، فقال رضي الله عنه: ليسوا هم بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة. [الشريعة للآجري].

حكم ومواعظ

عن إبراهيم بن بشار الرمادي قال: قلت لسفيان بن عيينة أيسرك أن يهدى إليك عيبك ؟ قال: أما من صديق فنعم و أما من موبخ أو شامت فلا.
عن يحيى بن معاذ الرازي قال: هيبة الناس من المؤمن على قدر هيبته من الله، و حياؤهم منه على قدر حيائه من الله، و حبهم له على قدر حبه الله عز و جل. [شعب الإيمان].



من سير السلف

عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال إن رسول الله ﷺ قال «إن القبر أول منازل الآخرة» فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه قال وقال رسول الله ﷺ «ما رأيت منظرا قط إلا القبر أفظع منه». [الترمذي].

التحذير من مصاحبة الأشرار

قال البستي محذرا من مصاحبة الاشرار:

تجنب مجالس أهل الفساد
وقايض دنوك منهم ببعد
فقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأمَاكِـنِ والشرُّ يعدي

بدعة تخصيص رجب بصيام أو صلاة

عن المؤتمن بن أحمد الساجي قال: كان الإمام عبد الله الأنصاري، شيخ خراسان لا يصوم رجباً وينهي عنه، ويقول: ما صح في فضل رجب ولا صيامه شئ عن رسول الله ﷺ قال: وقد روي كراهية صيامه عن جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان عمر يضرب بالدرة صُوَّامه فإن قيل: هو استعمال خير. قيل: استعمال الخير، ينبغي أن يكون مشروعا عن الرسول ﷺ فإذا علمنا أنه كَذِبٌ على رسول الله ﷺ خرج عن المشروعية و إنما كانت تعظمه العرب في الجاهلية. [الامر بالاتباع للسيوطي].

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم». [سنن النسائي].

من معاني الألفاظ

الحزب: الأرض الغليظة الشديدة.

- والجماعة فيها قوة وصلابة.
- وكل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم. قال تعالى: «كل حزب بما لديهم فرحون».
- والحزب: النصيب.
- وما يعتاده المرء من صلاة وقراءة ودعاء وجمع الحزب: أحزاب.

من غريب الحديث

في حديث العَقِيقَة (أميطُوا عنه الأذَى) يريد الشعر والنَّجَاسة وما يَخْرُجُ على رأس الصبي حين يُولد، يُحْلَق عنه يومَ سابعه. ومنه الحديث (أدناه إمَاطَة الأذى عن الطريق) وهو ما يُؤذِي فيها كالشَّوكِ والحجرِ والنَّجَاسة ونحوها. [النهاية لابن الأثير].



أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ما يزال كلامنا متصلاً عن قرائن السياق وأثرها في فهم النص، وأن القرائن منها ما هو لفظي، ومنها ما هو غير لفظي، وهو ما يطلق عليه القرائن الحالية، وهي تلك التي تشمل أحوال الخطاب والمخاطِبين والمخاطَبين وعاداتهم وأعرافهم اللغوية، وقد وصلنا في البحث إلى كيفية مراعاة النبي ﷺ لعادات الناس وأعرافهم، ونستكمل ما بدأناه:

النبي ﷺ ومراعاة أعراف الناس وعاداتهم

في صحيح مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها حديث النبي ﷺ: «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر».

وفي رواية: «بيت لا تمر فيه جياع أهله».

- لكي نفهم الحديث فهمًا صحيحًا لا بد أن ننظر إلى القرائن المحيطة به، وإلا فإن ظاهر الحديث، على أن البيت الذي لا تمر فيه يجوع أهله، بينما نجد كثيراً من البيوت لا تمر فيها ومع ذلك فإن أهلها ليسوا بجياع.

- فالنبي ﷺ يراعي عادات الناس، وأن الغالب على أقوات أهل الحجاز هو التمر، فالتمور كانت هي بضاعة العرب الرائجة، وأغلى ما يملكون، وقوام حياتهم عليها، فانظر إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما تقول لابن أختها عروة: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار.

فقلت: يا خالة؛ ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر، والماء...

فالرسول ﷺ وأمهات المؤمنين يعيشون الشهور الطويلة على التمر، وكان التمر هو زاد المسلمين الأوائل في جهادهم في سبيل الله، فإذا كان الغالب المنتشر لا يوجد في بيوتهم، فمن باب أولى فإن غير الغالب ليس بموجود، وبالتالي يجوع أهل هذا البيت.

قال القرطبي: ويصدق هذا على كل بلد ليس فيه إلا صنف واحد، ويكون الغالب فيه صنفًا واحداً، فيقال على بلد ليس فيه إلا البر (القمح) بيت لا بر فيه جياع أهله...

كما يقول أهل الأندلس: بيت لا تين فيه جياع أهله.. وأهل كل قطر يقولون في قوتهم مثله.

وقال الطيبي: الحديث يحمل على الحث على القناعة في بلاد يكثر فيها التمر، يعني بيت فيه تمر وقنعوا به لا يجوع أهله، وإنما الجائع من ليس عنده تمر، وفيه تنبيه على مصلحة تحصيل القوت وادخاره (نقلاً عن فيض القدير للمناوي ٣/٢٧٢).

وهذا أيضًا قاله القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي ؛ لأن التمر كان قوتهم، فإذا خلا منه البيت جاع أهله، وأهل كل بلدة بالنظر إلى قوتهم يقولون كذلك (نقلاً عن عون المعبود، باب في التمر: ح٣٨٣٠).

فالحديث إذن لا يحمل على ظاهره فقط، وإنما ينبغي النظر في القرائن المحيطة به. كما قال الشيخ ابن باز: وهو محمول (أي الحديث) عند أهل العلم على من كان طعامه التمر، كأهل المدينة في وقته ﷺ وأشباههم ممن يقتاتون التمر. (مجموع فتاوى ابن باز: ٢٥/٢٨٠).

في فهم النص



إعداد/ متولي البراجيلي

العرف اللغوي

تنقسم الألفاظ إلى أربعة أقسام:

١- حقيقة لغوية (وضعية).

٢- حقيقة شرعية.

٣- حقيقة عرفية.

٤- المجاز.

فاللفظ العربي إما أن يبقى على أصل معناه الذي وُضع له، وهذه هي الحقيقة اللغوية، أو يُغيَّر عن أصل وضعه، ويكون هذا التغيير إما من قبل الشرع، وهذه هي الحقيقة الشرعية، أو من قبل عرف الاستعمال، وهذه هي الحقيقة العرفية، أو من قبل استعمال اللفظ في غير ما وضع له لقرينة دالة على ذلك، وهذا هو المجاز.

- والحقيقة الشرعية مقدمة على باقي الأقسام الأخرى إذا عرف تفسيرها من القرآن، أو من سنة النبي ﷺ.

- يقول ابن تيمية: ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يُحْتَجْ في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم. (الفتاوى: ٢٨٦/٧).

- فخطاب الشارع وألفاظه تحمل على الحقيقة الشرعية، فإن تعذر حمله عليها فتحمل على الحقيقة العرفية، ثم الحقيقة اللغوية، ثم المجاز إن دلت عليه قرينة.

- فعلى ذلك إن كان للناس عرف يتعاملون به في الألفاظ فإنه يرجع إلى هذا العرف، ويحتكم إليه، إلا في المصطلحات الشرعية المعينة.

على سبيل المثال: لفظ الطلاق، جعله الشرع موجبًا للطلاق بغض النظر عن القصد (النية)، فما دام يلفظ بالطلاق صريحًا اعتبر فيه الحكم الشرعي، بصرف النظر عن الاستعمال العرفي له، لكن لو استعمل لفظًا آخر غير الطلاق: كأن يقول لها اخرجي من بيتي (وهو من ألفاظ الكنايات في الطلاق)؛ ولم ينو بهذا اللفظ الطلاق، فإنه يرجع به إلى العرف المستعمل له هذا اللفظ عند مستعمليه، فبعضهم يتعارف عليه أنه من أجل التأديب فقط، فلا يقع الطلاق، وبعض الأعراف اصطلحوا على أنه يُقصد به الطلاق ولو من غير نية، فهنا يحتكم للعرف في المسألة.

- المقصود أن الحقيقة الشرعية للفظ لا يُصرف إلى غيرها، طالما حددها الشرع، حتى وإن اصطلح قوم على صرفه إلى معنى آخر، فإن هذا لا يستقيم.

النبي ﷺ ومراعاة العرف اللغوي

المثال الأول: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجَبَّار، وضرسه مثل أُحد. (أخرجه الترمذي، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة وغيرها: وهو كما قالا).

- اختلف أهل العلم في هذا الحديث، هل هو من أحاديث الصفات، أم أنه ليس من أحاديث الصفات.

يقول الحافظ ابن حجر: «.. وأخرجه (أي الحديث) البيهقي وقال: أراد بذلك التهويل، يعني بلفظ الجبار، وقال: ويحتمل أن يريد جبارًا من الجبابرة إشارة إلى عزم الذراع، وجزم ابن حبان لمَّا أخرجه في صحيحه بأن الجبار ملك كان باليمن.

وفي مرسل عبيد بن عمير عن ابن المبارك في الزهد بسند صحيح: وكثافة جلده سبعون ذراعًا، وهذا يؤيد الاحتمال الأول، لأن

السبعين تطلق للمبالغة..» (فتح الباري: ١١/٤٢٣).

وفي صحيح الترغيب والترهيب: الجبار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار. كذا قال ابن حبان وغيره. وقيل: ملك بالعجم. (صحيح الترهيب والترغيب للألباني في تعليقه على حديث: ٣٦٨٢).

- وأورده ابن أبي عاصم في كتاب السنة (ح: ٦٢٣، ٦٢٤) من ضمن أبواب أحاديث الصفات، فقد يدل على أنه عنده من أحاديث الصفات.

وكذلك أورده أبو يعلى الفراء في كتابه «إبطال التأويلات» ضمن أحاديث الصفات.

والذي جعله من أحاديث الصفات أثبت به صفة الذراع لله عز وجل، لكن دون تشبيه ولا تجسيم، كما أثبت السلف صفة الوجه واليدين وغيرها، ولم يروا أن في الحديث ما يدعو إلى تحديد الذراع، كما لم يُفض الاستواء على العرش إلى التحديد، وهذا ما صرَّح به أبو يعلى الفراء في إبطال التأويلات. (١/٢٠٤، ٢٠٥).

- لكن عامة أهل العلم على أنه ليس من أحاديث الصفات؛ كابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٢٥٢).

يقول ابن قتيبة: إن لهذا الحديث مخرجًا حسنًا، إن كان النبي ﷺ أراده، وهو أن يكون الجبَّار - هاهنا - الملك، قال الله - تبارك وتعالى -: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» [ق: ٤٥]، أي: بملك مسلَّط، والجبابرة: الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا وكذا ذراعًا بذراع الملك، يريدون: بالذراع الأكبر، وأحسبه ملكًا من ملوك العجم، كان تام الذراع، فنُسب إليه. ووافق الأزهري ابن قتيبة على ذلك في «تهذيب اللغة» (١١/١٦).

ففي مادة «جبر» قال: قال الله عز وجل: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ» [المائدة: ٢٢].

قال أبو الحسن اللحياني: أراد الطول والقوة والعظم، والله أعلم بذلك. قلت: كأنه ذهب إلى الجبَّار من النخيل، وهو الطويل الذي فات المتناول، يقال: رجل جبار إذا كان طويلاً عظيمًا قويًا، تشبيهًا بالجبار من النخيل. اهـ.

وكذا قال الحاكم: معنى قوله: «بذراع الجبار» أي: جبار من جبابرة الآدميين ممن كان في القرون الأولى ممن كان أعظم خلقًا وأطول أعضاءً وذراعًا. (المستدرك: ح٨٧٦).

وقد قال البيهقي بعد إخراج الحديث في الأسماء والصفات (٤٣١) عن بعض أهل النظر، إنه قال: إن الجبار هاهنا لم يُعن به (الله)، وإنما عنى به رجلاً جبارًا كان يوصف بطول الذراع وعظم الجسم، ألا ترى إلى قوله تعالى: «كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»، وقوله: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ».

ولما مرَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسارة زوجته - كما في صحيح مسلم على ملك ظالم، قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن هذا الجبار إن علم أنك امرأتي يغلبني عليك... الحديث.

وكذلك قال الذهبي - فيما نقله عنه المناوي في فيض القدير (٤/٢٥٥): ليس ذا من أحاديث الصفات في شيء.

وفي كتاب مقاييس اللغة لابن فارس: الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة، فالجبار الذي طال وفات اليد، يقال: فرس جبار، ونخلة جبارة (١/٥٠١).

- وعلى هذا يكون النبي ﷺ راعى الأعراف اللغوية عند العرب في الحديث، على الراجح من معنى الحديث - والله أعلم - عندما وصف غلظ جلد الكافر بذراع الجبار، وهو الطويل العظيم الهيئة.

وحتى تستقيم مثل هذه المعاني، لابد أن ننظر إلى العرف اللغوي الذي كان في زمن النبي ﷺ، فالعرف اللغوي من القرائن الحالية التي تعين على فهم النص.

المثال الثاني: في حديث النبي ﷺ الذي رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر... (صحيح سنن أبي داود وغيره، وأخرجه مسلم بطوله في المغازي).

الصفقة: هي المرة من الصفق، وهو في اللغة: الضرب الذي يسمع له صوت.

فكان العرب إذا وجب البيع ضرب أحدهما

يده على يد صاحبه، ثم استعملت الصفقة في العقد.

- ويوم الصفقة يوم معروف في الجاهلية لما اعتدت بنو تميم على بعض أتباع كسرى، فأرسل إلى حاكم البحرين ليثأر منهم، فتحايل عليهم حتى أدخلهم حصنه، فكان يقتلهم واحدًا تلو الآخر، حتى استطاع واحد من بني تميم أن يقاتل بسيفه حتى نجا وأصفق باب الحصن فسمي بـ «يوم الصفقة». (معجم البلدان - بتصرف - لياقوت الحموي).

وأطلق في العرف اللغوي على المرة الواحدة من المبايعات، فقد كان أحدهم إذا أوجب البيع صفّق بيده على المشتري، وعلى بيعة الإمام. (الموسوعة الفقهية: بيعتان في بيعة).

- وفي فتح الباري: «... وذلك أن من بايع أميرًا فقد أعطاه الطاعة وأخذ منه العطية، فكان شبيه من باع سلعة وأخذ ثمنها، وقيل إن أصله أن العرب كانت إذا تبايعت تصافقت بالأكف عند العقد، وكذا كانوا يفعلون إذا تحالفوا، فسموا معاهدة الولاة والتماسك فيه بالأيدي بيعة». (باب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه).

- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كان يشغلهم الصفق في الأسواق: أي صفق الأكف عند البيع والشراء.

فالمتعاهدان يضع أحدهما يده في يد الآخر كما يفعل المتبايعان.

فالنبي ﷺ يراعي الأعراف اللغوية في الحديث، ويستعمل ذات اللفظة التي تستعلمها العرب في التعبير عن المبايعة.

المثال الثالث:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سُئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: «لا يحب الله العقوق». كأنه كره الاسم، وقال: «من وُلد له ولد فأحب أن ينسك عنه فلينسك، عن الغلام شاتين، وعن الجارية شاة». (رواه أبو داود، وهو في مشكاة المصابيح، وقال الألباني: حسن).

- قال الأصمعي: العقيقة أصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، وسميت الشاة التي تذبح عنه في تلك الحال عقيقة؛ لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح.

وقال الخطابي: هي اسم الشاة المذبوحة عن الولد، وسميت بها لأنها تعق عن ذابحها، أي: تشق وتقطع، ويقال: وربما يسمى الشعر عقيقة بعد الحلق على الاستعارة، وإنما سمي الذبح عن الصبي يوم سابعه عقيقة باسم الشعر لأنه يحلق في ذلك اليوم، وعق عن ابنه يعق عقًا، حلق عقيقته وذبح عنه شاة، وتسمى الشاة التي ذُبحت لذلك عقيقة... (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب العقيقة).

- والعق منه عقوق الوالدين، وهو من أكبر الكبائر، ولذا كره النبي ﷺ التسمية.

ففي الحديث: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثًا، قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فلجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت». (متفق عليه).

لكنه ﷺ جرى على الأعراف اللغوية بالنسبة لتسمية ما يُذبح عن المولود شكرًا لله تعالى بالعقيقة، ولعله راعى أن التسمية مشتركة لأن الذبيحة يعق حلقها أي يشق.

قال الحافظ في الفتح: ومما ورد في تسمية الشاة عقيقة ما أخرجه البزار من طريق عطاء عن ابن عباس رفعه: «للغلام عقيقتان، وللجارية عقيقة...».

وقال: ووقع في عدة أحاديث عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة. (تحفة الأحوذي، باب ما جاء في العقيقة).

وفي النسائي: «كل غلام رهن بعقيقته».

وفي «التمهيد» لابن عبد البر: وفي هذا الحديث (... لا يحب الله العقوق...) كراهية ما يقبح معناه من الأسماء، وكان رسول الله ﷺ يحب الاسم الحَسن، ويعجبه الفأل الحسن، وقد جاء عنه في حرب ومرة ونحوهما ما رواه مالك وغيره، وذلك معروف...

وكان الواجب بظاهر هذا الحديث أن يقال للذبيحة عن المولود نسيكة، ولا يقال عقيقة، لكني لا أعلم

أحداً من العلماء مال إلى ذلك، ولا قال به، وأظنهم والله أعلم تركوا العمل بهذا المعنى المدلول عليه من هذا الحديث لما صح عندهم في غيره من لفظ العقيقة، وذلك أن سمرة بن جندب روى عن النبي ﷺ أنه قال: «الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه».

وروى سلمان الضبي عن النبي ﷺ أنه قال: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى، وهما حديثان ثابتان: إسناد كل واحد منهما خير من حديث زيد بن أسلم هذا (يقصد حديث: لا أحب العقوق....).

ثم ذكر عدة أحاديث صحت عن النبي ﷺ وفيها لفظ العقيقة..، إلى أن قال: وعليها (العقيقة) العلماء وهو الموجود في كتب الفقهاء وأهل الأثر في الذبيحة عن المولود العقيقة دون النسيكة.

... وأنكر الإمام أحمد تسميتها عقيقة باسم الشعر الذي يُولد به المولود من بطن أمه، ويحلق بعد ذلك في السابع، وقال: إنما العقيقة: الذبح نفسه.

ثم رجح ابن عبد البر ما قاله أحمد في معنى العقيقة دون غيره. (التمهيد: ٣٠٥-٣١١/٤ بتصرف).

المثال الرابع:

حديث النبي ﷺ: «وُضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». (ابن ماجه وهو في صحيح الجامع).

وفي روايات أخرى: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

(أشار الشيخ الألباني إلى ضعف رواية: «رفع»، وأن الصحيح: «وُضع».).

ظاهر الحديث أن هذه الثلاثة مرفوعة عن الأمة وأنها لا تقع فيها، بينما المشاهد أن الأمة يقع فيها الخطأ والنسيان والإكراه وهو غير مرفوع عن هذه الأمة لمشاهدة وقوع هذه الثلاثة منهم حسًا.

فهذا الحديث لا يفهم على وجهه الصحيح إلا بالنظر إلى العرف اللغوي الذي خاطب به النبي ﷺ أصحابه، يقول الغزالي في المستصفى: إن قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» يقتضي بالوضع نفي نفس الخطأ والنسيان، وليس كذلك، وكلامه ﷺ يجل عن الخلف، فالمراد رفع حكمه لا على الإطلاق، بل الحكم الذي عرف بعرف الاستعمال قبل ورود الشرع إرادته بهذا اللفظ، فقد كان يفهم قبل الشرع من قول القائل لغيره: رفعت عنك الخطأ والنسيان ؛ إذ يفهم منه رفع حكمه لا على الإطلاق، وهو المؤاخذة بالذم والعقوبة، فكذلك قول رسول الله ﷺ نص صريح فيه، وليس بعام في جميع أحكامه من الضمان ولزوم القضاء وغيره... (٣٤٧، ٣٤٩/١).

فالغزالي بيَّن أن الفهم السديد لنص كلام رسول الله ﷺ هو الفهم الذي يكون مراعيًا لمقتضيات الاستعمال العربي، وعلى ذلك فقوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» يعني رفع المؤاخذة والعقاب عن الخطأ والنسيان، لا الخطأ والنسيان ذاتهما، لأن هذا الفهم هو الذي يتسق وعرف العرب في مثل هذا الاستعمال.

(البحث الدلالي عند الأصوليين عن السياق وأثره في دلالات الألفاظ، د. عبد المجيد السوسوة).

- فالذي يوضع هو الإثم، لكن لا يوضع الضمان، فعلى من أتلف شيئًا الضمان، يقول ابن حزم في «الإحكام»: «في قوله تعالى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» [الأحزاب: ٥]، وحديث النبي ﷺ: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

فوجب بهذين النصين أن لا يؤخذ أحد بخطأ من فعله، إلا ما جاء به النص من إيجاب الكفارة على المخطئ في قتل المؤمن، وما أجمعت عليه الأمة من ضمان الخطأ في إتلاف الأموال، وأن الوضوء ينتقض بالأحداث الخارجة من المخرجين بالنسيان كالعمد. (٩٢٤/٧).

وللحديث بقية إن شاء الله.



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه وسلك سبيله إلى يوم الدين

أما بعد: فإن للعلماء في هذا الدين مكانة كبرى، ومنزلة عظمى، فهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، والأمناء على ميراث النبوة، هم كواكب الأرض المتلألئة وشموسها الساطعة، وأطنابها القوية، وأوتادها المتينة، هم للأمة مصابيح دجاها، وأنوار هداها، هم الأعلام الهداة والأئمة التقاة، أضواء تنجلي بهم غياهب الظلم، وأقطاب تدور عليهم معارف الأمم، تتبدد بنور علمهم سحب الجهل، وغيوم العي، هم أهل خشية الله، كما قال الله سبحانه: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [فاطر: ٢٨]، قرنهم الله بنفسه في الشهادة على وحدانيته فقال تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [آل عمران: ١٨].

وضمن الله لهم العلو والرفعة، فقال جل وعلا: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» [المجادلة: ١١].

كما أنهم شهداء الله في أرضه وخلفاء رسوله في أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم حفظ الله الدين، وبه حفظوا، وما عزت الأمم وبلغت القمم وشيدت الحضارات وقامت الأمجاد إلا بالعلماء، مثلهم في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة.

وفي المسند والسنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». (المسند ٣ / ٣١٧).

يقول الإمام أحمد رحمه الله في معرض فضائلهم ومآثرهم: «يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى،

ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». [الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله].

وإنما تبوأ العلماء هذه المكانة لما يضطلعون به من تبليغ علوم الشريعة التي هي مادة حياة القلوب والمقربة لعلام الغيوب، فبالعلم الشرعي تبنى الأمجاد وتشاد الحضارات وتبلغ القمم وتمحى غياهب الظلم، قال الله تعالى: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» [الأنعام: ١٢٢].

وإن من أهم علوم الشريعة وأجلها قدرًا وأعظمها أثرًا وأكثرها فائدة وأكبرها عائدة علم أصول الفقه؛ لأنه الطريق لاستنباط الأحكام الشرعية، فهو منهل الأئمة ومأوى المجتهدين ومورد المفتين لا سيما عند النوازل والمستجدات.

ولقد زخر تاريخ الإسلام بكوكبة من علماء الأصول في مختلف العصور مثلوا منارات عالية في سماء العلم والمعرفة، كما شهد عصرنا الحاضر نخبة مميزة من علماء الأصول يعدون امتدادًا لسلفهم من الأصوليين، بل إنه نتيجة لاستقرار المناهج الأصولية ونضج التفكير الأصولي المرتبط بالمنهج الصحيح لدى صفوة منهم أصبح من المهم إبراز منهج هؤلاء ودراسة حياتهم العلمية ومناهجهم الأصولية، لما لذلك من الأثر الكبير والخير الوفير على الباحثين وطلاب العلم عامة، والمهتمين منهم بالأصول على سبيل الخصوص.

ولقد كان من أعلام هذا العصر في العلوم الشرعية كافة وعلم الأصول خاصة شخصية علمية أصولية نادرة جديرة بالدراسة والإبراز والاهتمام، ذلكم هو العلامة الأصولي الشيخ عبد الرزاق عفيفي، رحمه الله.

ونظرًا لما يمثله الشيخ من مكانة علمية وأصولية، ولما يتمتع به من منهج متميز، وحاجة المكتبة الأصولية فيما أرى إلى بحث مستقل يبرز منهجه ويجلي طريقته، فقد عزمت على أن أقدم بحثًا في ذلك ؛ إسهامًا في البحث العلمي ومشاركة في إبراز المنهج الأصولي لعلمائنا الأفذاذ، وفاء بحقهم علينا وربطًا للأجيال بعلمهم ومنهجهم، وقد رأيت أن يكون عنوان هذا البحث: «الشيخ عبد الرزاق عفيقي ومعالم منهجه الأصولي».

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف النوبي المصري أصلاً ومنشأ، والنجدي موطنًا ووفاة.

المطلب الثاني: مولده ونشأته

ولد رحمه الله في مصر في قرية تسمى «شنشور» في محافظة المنوفية سنة ١٣٢٣هـ، ونشأ رحمه الله نشأة دينية علمية، فحفظ القرآن صغيرًا، وأقبل على المتون العلمية في العقيدة والحديث والفقه واللغة ونحوها، فاستظهرها لما منَّ الله عليه بالذكاء وقوة الحافظة، وكان مجتمع القرية الصغيرة المحافظ والجو الأسري المترابط خير معين له على هذه النشأة الدينية العلمية.

المطلب الثالث: طلبه للعلم وحياته العلمية

تدرج الشيخ رحمه الله في سلك التعليم، فالتحق أولاً بالكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، وهي ما يعرف اليوم بالمرحلة الابتدائية، وبعدها التحق بأحد المعاهد الأزهرية التي تعادل المتوسطة والثانوية، ثم التحق بالجامع الأزهر قبل أن يكون جامعة وتخرج ونال الشهادة العالية، ثم حاز شهادة التخصص، ثم حصل على الشهادة العالمية العالية، وجمع رحمه الله بين الدراسة النظامية والأخذ من الشيوخ مع حرصه الخاص على القراءة والتحصيل حتى بز الأقران، وفاق الخلان، وأشير إليه بالبنان بين زملائه ومجالسيه.

المطلب الرابع: شيوخه وأقرانه

تتلمذ الشيخ في مختلف المراحل النظامية لا سيما العليا على كوكبة من علماء الأزهر آنذاك، حيث كان يضم نخبة مميزة ممن اشتهروا بالعمق العلمي والتأصيل المنهجي، كما استفاد كثيرًا بعد قدومه للمملكة من سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

وكان من أشهر أقرانه سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد خليل هراس، وغيرهم.

المطلب الخامس: حياته العملية

مزج الشيخ رحمه الله حياته العلمية بالعملية منذ كان طالبًا، خاصة في المراحل العليا، فكان يقوم بأعمال مباركة في الدعوة إلى الله والتدريس

والمشاركة في أعمال الخير، وعمل بعد تخرجه مدرسًا في المعاهد الأزهرية في بعض القرى ومدينة الإسكندرية، وقد انضم رحمه الله إلى جماعة أنصار السنة المحمدية ؛ لما عرف عنها من حرص على نشر العقيدة الصحيحة ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة، وقد رشح رحمه الله في سن مبكرة نائبًا لرئيس لجماعة في الإسكندرية، ثم رئيسًا لجماعة أنصار السنة في مصر كلها خلفًا للشيخ محمد حامد الفقي، ورأس تحرير مجلة التوحيد المشهورة (التي كانت تصدر بعنوان الهدي النبوي) سنوات عدة، ثم يسر الله له القدوم إلى المملكة العربية السعودية فشرفت به وشرف بها وعمل مدرسًا في دار التوحيد بالطائف، ثم في عنيزة، ثم في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة بالرياض، وأسندت إليه مهمة وضع عدد من المناهج في المعاهد العلمية وكلية الشريعة، ولما افتتح المعهد العالي للقضاء عين أول مدير له وقام بوضع مناهجه، ثم بعد ذلك انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء وعين نائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضوًا في هيئة كبار العلماء، وأشرف على عشرات الرسائل في الماجستير والدكتوراه، وشارك في أعمال التوعية الإسلامية في الحج مفتيًا ومدرسًا في المسجد الحرام والمشاعر في الموسم.

كما قام بالإمامة والخطابة والتدريس في مسجده بالرياض.

وهكذا كانت حياته رحمه الله مليئة بالتدريس والإرشاد والدعوة والإفتاء شأن العلماء العاملين المخلصين لدينهم وأمتهم، رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب السادس: صفاته وأخلاقه

لقد جبل الشيخ رحمه الله على صفات كريمة ومزايا عظيمة قل أن تجتمع في رجل، فكان رحمه الله مثالاً في الشمائل الحميدة والأخلاق الحسنة، متسمًا بالورع والتواضع والزهد والبعد عن الأضواء مع ما وهبه الله من عمق في العلم وقوة في الحجة، كما كان رحمه الله عف اللسان، منصفًا للمخالف، حكيمًا في الرأي، بعيد النظر، مع قوة في الحق وتعامل بالحسنى وإنزال الناس منازلهم، كما كان رحمه الله مهيبًا ذا وقار وخشية.

أما الصفات الخَلْقية فكان رحمه الله ربعة من الرجال إلى الطول أقرب، أبيض البشرة، تزينه لحية طويلة تشعر بالبهاء والجلال والحرص على السنة في مظهره ومخبره، رحمه الله.

وله مواقف عظيمة ولطيفة، كما له إسهامات في البذل والجود في أعمال الخير والإنفاق على طلبة العلم، كما عرف بالصبر والتحمل والاحتساب فكسب حب الناس وثناءهم وتقديرهم، رحمه الله.

المطلب السابع: تلاميذه

يُعد الشيخ رحمه الله أستاذ جيل يعتبر اليوم النواة المباركة في نهضة هذه البلاد علميًا وقضائيًا وإداريًا، فلا نبالغ إذا قلنا إن الطبقة التي هي كبار علمائنا هم تلاميذ الشيخ رحمه الله، فقد استفاد من الشيخ رحمه الله كل من درس في المعهد والكلية والمعهد العالي للقضاء، وهم جمع غفير أذكر من أشهرهم:

١- سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.
٢- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان.
٣- د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
٤- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.
٥- الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.
٦- الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان.
٧- الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرام.
٨- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام.
٩- الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع.
١٠- الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود.

وغيرهم كثير، بارك الله فيهم ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

المطلب الثامن: وفاته

قدر الله على الشيخ رحمه الله الإصابة بأمراض في آخر حياته، وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر الثالث سنة ١٤١٥هـ أدخل المستشفى إثر تردي حالته الصحية، وبقي فيه مدة وجيزة حتى فاضت روحه إلى بارئها عن عمر يناهز التسعين عامًا قضاها مجاهدًا بقلمه ولسانه معلمًا مدرسًا مفتيًا مرشدًا، وقد أم المصلين عليه سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ بحضور جمع غفير من طلابه ومحبيه، ودفن في مقبرة العود في الرياض، رحمه الله رحمة الأبرار، وقد عزاه ولاة الأمر وفقهم الله والعلماء وطلاب العلم، وأثنوا على ما كان يتمتع به رحمه الله من مكانة علمية عالية ولما لفقده رحمه الله من أثر على الساحة العلمية والإسلامية.

عوض الله المسلمين فيه خيرًا، ورفع درجاته في عليين، إنه خير مسئول وأكرم مأمول.

والحمد لله رب العالمين.

وقفات مع التوسل والوسيلة

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن غياب العلم وكثرة الجهل وتفشي البدع والخرافات والأباطيل زين لكثير من الناس الباطل، بل ربما ألبسوه ثوب الحق، فتوجهوا للصالحين والأولياء عند قبورهم ليتوسلوا بهم، زاعمين زورًا «أنه إذا حزبتكم الأمور فعليكم بأهل القبور»، وزاعمين زورًا أنه «من زار الأعتاب ما خاب»، وزاعمين زورًا أنه «إذا اعتقد أحدكم في حجر لنفع»، ويقولون: إن الوسيلة إلى الله هم الأولياء والصالحون، ويستدلون زورًا بقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٣٥]، فيقولون: نحن نبتغي إلى الله الوسيلة بهؤلاء الصالحين.



فنريد - إن شاء الله تعالى - في هذه الوقفات أن نوضح الحق لطالبه بغير تعصب إلا للحق لعل الله تعالى أن يشرح الصدور بالعودة إلى الملك الغفور بعيدًا عن عبادة المقبور أو الاعتقاد في أهل القبور، فما هي الوسيلة المطلوب ابتغاؤها لننال رضا الله تعالى والقبول عنده؟ هل الوسيلة دعاء غير الله واعتقاد النفع والضر فيهم وسؤالهم والطلب منهم والاستغاثة والرجاء والرهبة وطلب البركة والرزق والصحة والغنى منهم؟

قال أهل التفسير: قال ابن عباس: إن جماعة من الإنس كانوا يعبدون جماعة من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس لا يدرون بإسلامهم، وبقوا

متمسكين بدينهم، فنزلت: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» [الإسراء: ٥٧]، يقول تعالى لهؤلاء المشركين جميعاً: إن هؤلاء الذين تدعونهم آلهة، وتعبدونهم من دون الله، هم عباد من خلق الله، وتحت قهره وسلطانه، ويعملون جاهدين على الفوز بالقرب منه تعالى بالطاعة والقربة، وأكثر هؤلاء المعبودين قرباً من الله يدعو الله، ويبتغي إليه الوسيلة والقربة منه، ويخشى عذابه وعقابه. فإذا كان هذا هو حال هؤلاء الأرباب فكيف تعبدونهم؟! وما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله الواحد الأحد الخالق القاهر بالعبادة والدعاء والخشية، كما يتوجه إليه بها الذين تعبدونهم أنتم وتدعونهم أرباباً، وعذاب الله خليق بأن يُحْذَر، ويُخَاف ويُخْشى، وقد كان بعضهم يدعو عزيراً ابن الله ويعبده، وبعضهم يدعو عيسى ابن الله ويعبده، وبعضهم يدعو الملائكة بنات الله ويعبدهم، وبعضهم يدعو غير هؤلاء، فالله تعالى يقول لهم جميعاً: إن هؤلاء الذين تدعونهم، أقربهم إلى الله يبتغي إلى الله الوسيلة، ويتقرب إلى الله بالعبادة، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، فأولى بهم إن كانوا يعقلون أن يرجعوا إلى الله تعالى ويعبدوه، ويتوبوا عن شركهم وضلالهم، ويتأسوا بالصالحين في ذلك، فالوسيلة ما يقرّب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه.

وأخرج البخاري في الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه». الحديث، ويقول الله تعالى: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ» [سبأ: ٣٧]، فالتقرب إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة.

أما التوسل فينقسم إلى قسمين أساسيين، توسل مشروع، وتوسل ممنوع، والمنصف من يتجرد للحق ويبحث عنه فيعتقده ويرجع إليه، ولا ينبغي أن يلبس على نفسه الحق، حتى لا ينطبق عليه قول الله تعالى: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» [فاطر: ٨]، وقول الله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» [محمد: ١٤]، والحق لا يخفى على طالبه.

أولاً: القسم الأول: التوسل المشروع:

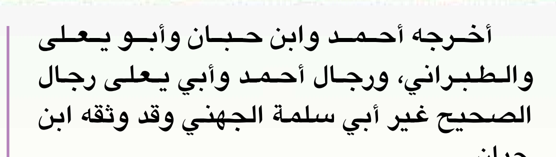
وهو التوسل إلى الله بالوسيلة المشروعة، ودليله ما دل الكتاب والسنة على أنه توسل مشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع، فالهدى والخير كله ما كان في كتاب الله تعالى وصحيح السنة المطهرة بفهم السلف الصالح.

والتوسل المشروع يقع تحته أنواع ثلاثة:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو بصفة من صفاته العلى، كأن يقول المسلم في دعائه: كما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى».

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتى على رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، فقال: لقد سأل الله بالاسم الذي إذا دُعي به أجاب».

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلماً قط هم أو حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً».



أخرجه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»، أو يدعو فيقول: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة العدل والحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين». أخرجه النسائي والحاكم.

فمن أراد أن يدعو الله تعالى فليدعه باسم من أسمائه الحسنى أو بصفة من صفاته العلى.

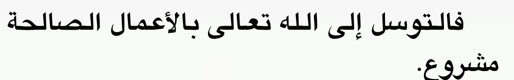
ودليل مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» [الإسراء: ١١٠].

الثاني: من التوسل المشروع: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد:

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [آل عمران: ١٦]، وقوله تعالى: «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» [آل عمران: ١٩٣]، وقوله تعالى: «رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» [آل عمران: ٥٣]، وقوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ» [المؤمنون: ١٠٩ - ١١١].

ومما يدل على ذلك من السنة المطهرة ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، قال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا».

فكل واحد من هؤلاء الثلاثة توسل إلى الله تعالى بعمل صالح، ولذا ورد في الحديث: «فقال بعضهم لبعض انظروا أفضل أعمال عملتموها لله تعالى فسلوه بها لعله يفرج بها عنكم».



فالتوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة مشروع.

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه:

ويدل على مشروعيته أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم، فعن أبي ريحانة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأوفينا على شرف فأصابنا برد شديد، حتى أن كان أحدنا يحفر الحفير ثم يدخل فيه ويغطي عليه بحجفته، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك من الناس قال: ألا رجل يحرسنا الليلة أدعو الله له بدعاء يصيب به فضلاً؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فدعا له، قال أبو ريحانة: فقلت: أنا، فدعا لي بدعاء هو دون ما دعا للأنصاري». أخرجه الإمام أحمد ورجاله ثقات والحاكم وصححه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أمي كانت امرأة مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى عليَّ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام وكانت تأبى عليَّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهدِ أم أبي هريرة». فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعتْ خشف رجلي، يعني وقعها، فقالت: يا أبا هريرة، كما أنت، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها، فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة. فقلت: يا رسول الله، أدع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما». فما خلق الله مؤمنًا يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني. (أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي وتقطعت السبل فادع الله، فدعا رسول الله ﷺ فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة. قال: فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، تهدمت البيوت، وانقطعت السبل وهلكت المواشي، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر». قال: فانجابت عن المدينة انجياب الثوب. (أخرجه البخاري ومسلم).

وفيهما أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». قام عكاشة بن محصن. فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم».

وعن أسير بن جابر قال: لما أقبل أهل اليمن جعل عمر رضي الله عنه يستقري الرفاق فيقول: هل فيكم أحد من قرن حتى أتى عليه قرن، فقال: من أنتم؟ قالوا: قرن، فرفع عمر بزمام أو زمام أويس فناوله عمر فعرفه بالنعت، فقال له عمر: ما اسمك؟ قال: أنا أويس. قال: هل كان لك والدة، قال: نعم. قال: هل بك من البياض ؟ قال: نعم، دعوت الله تعالى فأذهبه عني إلا موضع الدرهم من سرتي لأذكر به ربي، فقال له عمر: استغفر لي، قال: أنت أحق أن تستغفر لي، أنت صاحب رسول الله ﷺ، فقال عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له: أويس القرني». (الحديث أخرجه الإمام أحمد والحاكم).

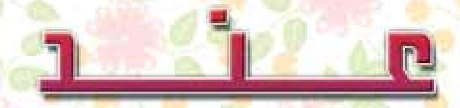
فالتوسل المشروع أن تتوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته العلى، أو تتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، أو تتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، وذلك بأن يكون حيًا ويسمع ويقدر على ذلك.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



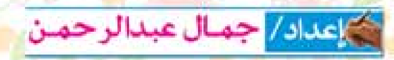














الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

سؤال محير يتردد على أذهان الآباء والأمهات والمربين، يقفون عاجزين عن الإجابة عليه، هذا السؤال: لماذا يكذب الأطفال ؟ وما علاج ذلك ؟

والذي يزيد الحيرة عند الوالدين أنهما يبذلان الجهد الكبير لتربية الطفل تربية ناجحة، وتعليمه وتلقينه مبادئ الإسلام الحميدة، إضافة إلى حكاية القَصَص الذي يدعو إلى الصدق ويمنع من الكذب.

أسباب الكذب

والذي يدفع الأطفال للكذب أمور:

١- الدفاع عن النفس:

ويظهر هذا السبب بكثرة في الأسر التي تستخدم العقاب كثيراً في تعاملها مع أولادها، ويتحول فيها الأب من شخص ينبغي أن يكون واسع الحلم ومحاولاً ذلك؛ إلى رجل كثير التدقيق والتحقيق، فيلجأ الطفل إلى الكذب ليدفع عن نفسه التهمة، حتى لو ألصقها بالآخرين.

٢- القسوة:

ويلجأ إليها الطفل حينما يتذكر المواقف العصيبة، والذكريات المؤلمة، التي تذكره بضربه والقسوة عليه إذا هو خالف أمر الأبوين أو كانت إجابته على أسئلتهما غير مرضية لهما.

٣- التقليد:

وهو من أهم أسباب الكذب، إذ يمثل أسلوب تقليد النماذج وسيلة رئيسة للتعلم في سنوات الطفولة المبكرة، وحين يمارس الكبار أمام الطفل سلوك الكذب فإنه ينظر إليه باعتباره سلوكًا مباحًا وجائزًا ومرغوبًا فيه، فمثلاً حينما يتهرب الأب أو الأم من ضيف ثقيل بأن يطلب من الطفل القول بأنه خارج البيت، أو حين يسمع الطفل من أبيه مبالغات في الحديث عن شخصيته وحياته وممتلكاته أمام الناس، مع علم الطفل بالحقيقة المخالفة لما يقوله

الكذب وأمره مكشوف.

٤- التفاخر:

ويمارس الطفل هذا السلوك للحصول على إعجاب الآخرين واهتمامهم، وهنا يخفي الطفل شعوره بالنقص أمام الآخرين، ويحاول أن يملأ هذا الفراغ النفسي في أعماقه بالكذب محاولاً تعظيم ذاته وإعلاء شأنها.

٥- التقرب من الآخرين:

الطفل يحاول أن يستحوذ على اهتمام الآخرين وإعجابهم به، فيبذل جهده في القيام بأعمال يحبونها، ويحاول التجمل بتقمص دور شخصيات ترفع من شأنه وهو ليس كذلك.

٦- العدوانية ومعاقبة الآخرين والفرح لذلك:

وهنا يدعي الطفل أن طفلاً آخر قام بأعمال مشينة، وهو يقصد بذلك تعريض ذلك الطفل للعقوبة ليشبع هو رغبته في إيذاء الغير، وكثيرًا ما يلجأ إلى ذلك الأطفال الذين يشعرون بعدوانية مكبوتة لا يمكنهم تفريغها؛ إما لعجزهم الجسدي، أو لتقييد الأنظمة الأسرية أو المدرسية لهم، فيسعى هنا إلى أن يقوم المعلمون والمسئولون بما كان يريد أن يفعله هو من عقوبة الآخر.

٧- الولاء المذموم:

ويقصد به هنا أن الطفل لحبه لمجموعة من الرفاق يحاول تضليل المربين والمسئولين، حتى لا يعاقبوا صديقًا من أصدقائه ومن يوالونه من أقرانه.

٨- عدم الثقة:

وهذه مصدرها الوالدان، فإذا شعر الطفل أن الوالدين لا يثقان فيه ولا بكلامه عندما يخبرهما بحقيقة؛ فإنه يستوي عنده الصدق مع الكذب فيكذب.

٩- إصرار الكبار على تسميته كذابًا:

الطفل لو كان صادقًا وأراد الصدق فيواجهه من يتهمه بالكذب ويسميه كذابًا، عندها يلجأ إلى الانتقام بأن يعمد إلى الكذب.

١٠- المكسب الشخصي:

وهذا يلجأ إليه الطفل عادة للوصول إلى غايته، والحصول على بغيته خاصة إذا رأى أنه لن يصل إليها من خلال الحقيقة والصدق.

من كل ما تقدم يلجأ الطفل إلى أشكال كثيرة للكذب منها:

١- قلب الحقيقة.

٢- المبالغة.

٣- اختلاق الكذب ونسجه وترويجه.

٤- السكوت عن الحقائق وشهادة الحق.

ويمكن القول: إن الكذب عند الأطفال ما هو إلا محصلة لعوامل بيئية وعوامل ذاتية داخل نفوس الأطفال.

فأما العوامل البيئية كالبيت والمدرسة والمجتمع، فهي الأماكن الهامة التي يرتادها الطفل بصورة دائمة،



وهي التي يتأثر بها.

أولاً: البيت:

فالطفل الذي ينشأ في بيت ذي أسرة تلتزم الصدق بصورة دقيقة يظهر أثر ذلك على سلوك الطفل، فينشأ على ما عوده الأبوان.

أما الأسرة التي تمارس الكذب فإنها تعلم أولادها ذلك فينشأون أيضًا على ما عُوِّدوا.

ومثال ذلك: إذا رن جرس البيت، أو دق جرس الهاتف وقام الصبي بالرد، فيسأل المتصل عن الوالد، فيشير الوالد بأن يخبر الطفل السائل بأنه غير موجود، ويضطر الصبي - رضي أو أبى - أن يكذب، فإذا تعود الطفل هذه العادة السيئة فإنه يتعود طوال حياته على الكذب، إلا أن يتغمده الله برحمته، فالطفل يلتقط ويقلد.

ثانيًا: في المدرسة:

الطفل يرى زملاءه يكذبون ليخرجوا من عقاب مدرسهم، بل يتفاخرون بأنهم احتالوا وأفلتوا من العقوبة بالكذب، والأدهى من ذلك أن يرى الطلاب مدرسهم يكذب عليهم، ويرون المدرس يكذب على من برأسه ليخرج من المدرسة مثلاً، وآخر يزور شهادة مرضية، ويحكي ذلك أمام أبنائه وتلاميذه، فكيف سيكون سلوك الأبناء بعد ذلك؟

ثالثًا: في الشارع والسوق:

حيث انتشر الكذب، فالبائع يكذب ويزين السلعة، ثم إذا انصرف المشترون يكتشفون أن البائع غشهم وكذب عليهم.. هذه العوامل التي تنتج عن غياب القدوة تجعل الطفل يتعود على الكذب ولا يستنكره بعد ذلك.

النظرة الخاطئة للصدق يشجع على الكذب

في المجتمع من ينظر إلى الصادق على أنه طيب القلب لا يستطيع المحاورة والمناورة، وأن هذا الأسلوب لا يصلح في

المجتمعات العصرية التي صار الناس فيها ذئابًا وأسودًا، وثعالب وفهودًا، وعلى العكس ينظرون إلى الكاذب بأنه داهية وصاحب مكر وعقل يلف ويدور، ويلفق ليكسب ويربح.

يكذب الطفل أحيانًا متعمدًا ليحقق رغبات وهمية، ويكون ذلك غالبًا إذا رأى غيره خيرًا منه، وعلى الوالدين في هذا جهد كبير ينبع من منهج نبوي، يربط الطفل بدينه وبنبيه ﷺ، وأن أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم، وأن الجنة يدخلها الفقراء قبل الأغنياء، وأن الرجل السمين الوجيه قد يؤتى به يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة.

كما يكذب الطفل أيضًا ليستولي على مزيد من شهواته، وهنا يُعلم القناعة، وقصص الصحابة وحياة النبي ﷺ وطعامه وشرابه، وسيرة شباب السلف الصالح وما كانوا يتمتعون به من كريم الخصال، على قلة المتاع والمال.

كذلك الخوف والجبن، فإذا كان الأبوان ممن يشدد العقوبة للطفل والزجر والتوبيخ فإن الطفل كي ينجو من - وجهة نظره- من هذه العقوبة إذا عمل الخطأ فإنه يلجأ إلى الكذب.

علاج الكذب عند الأطفال

علاج الكذب نوعان:

١- تحصين الطفل بحيث لا يقع في الكذب.

٢- نهيه عنه إذا وقع فيه.

ولتحقيق هذين الأمرين ينبغي الآتي:

١- ربط الطفل بقدوة صالحة تحثه على مكارم الأخلاق في كل جوانب تعامله مع المجتمع ؛ أ- البيت، ب- المدرسة، جـ- المسجد، فلا يكذب الوالدان أمام الأطفال ولو في المزاح، ولقد قال النبي ﷺ لأم عبد الله بن عامر لما نادته وقالت: تعال أعطيك ؟ فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرًا. فقال: أما إنك لو لم تعطيه كُتبت عليك كذبة».

ولا بد أن يعلم الوالدان والمربون بأن الكذب خيانة والصدقة أمانة، وأن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، كما أن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، كما وضح ذلك النبي ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه بصحيح مسلم.

٢- الحكايات والقصص التي تبين حلاوة الصدق وجزاء الصادقين، وقبح الكذب والكذابين، هي أيضًا من وسائل الإيضاح التي يستفيد منها الطفل ليكون صادقًا، وقد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة: ١١٩].

٣- متابعة الطفل للتأكد من تصرفاته عند مدرِّسه، وعند مربيه وعند أصدقائه، «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا».



٤- معرفة مشاكل الطفل النفسية وما يخفيه وما يقلقه ورغباته وشهواته لترشيدها وتوجيهها توجيهًا سديدًا يحفظ على الطفل خُلُقَهُ وصدقه.

٥- الثناء على الطفل إذا رُؤي منه الصدق ومدحه على ذلك وإثابته، فإن ذلك يزيد من ثقته في نفسه ويجعل الطفل حريصًا على أن يكون صادقًا، بل يحفز إخوانه على أن يكونوا مثله.

٦- أن يعامل الطفل بمبدأ إحسان الظن، وحسن النية، ويعامل على أنه صادق فإذا عُلم منه كذب فلا يُعيَّر به دائمًا أو يقال له: أنت كذاب! حتى لا يترسخ في ذهنه أنه كذاب فيستبيح الكذب بعد ذلك.

٧- طفلك ليس أنت، فغالبًا ما يحدث مع صغار الأطفال أن يكذبوا وهم لا يعرفون الكذب وعواقبه وقبحه عند الله ورسوله، وهنا تنفع الليونة والترغيب، والنهي اللطيف عن مثل هذه السلوكيات، مع الوعد بالجزاء والثواب عند تغيير الحال، ولا ينبغي أن يعد المربي بشيء لا يقدر على الوفاء به لكي لا يكون كذابًا هو الآخر، فإذا قدر على الوفاء وفَّى، وإلا اعتذر بصورة لائقة ومرضية مع الإقناع بأنه عند تيسر الأحوال سيُنجز للطفل ما وُعِد به.

والله الموافق.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص بما فيها من افتراءات، وتكثر الطرقية من ذكر هذه القصة وغيرها من الواهيات عند احتفالهم بليلة الإسراء والمعراج في كل عام من شهر رجب خاصة ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر، مع أن الليلة أو الشهر أو السنة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية:

أولاً: المتن

يُرْوَى عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش، فقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل أتاني فأخذ بيدي فأخرجني فإذا على البيت دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها، ثم انطلق حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فأراني إبراهيم يشبه خلقه خلقي، ويشبه خلقي خلقه، وأراني موسى آدم طويلاً سبط الشعر شبهته برجال أزد شنوءة، وأراني عيسى ابن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى، وأنا أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت»، فأخذت بثوبه فقلت: إني أذكرك الله أنك تأتي قومًا يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك، قالت: فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني، فقام جبير بن مطعم فقال: يا محمد لو كنت شابًا كما كنت ما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا، فقال رجل من القوم: يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال: «نعم والله وجدتهم قد أضلوا بعيرًا لهم، فهم في طلبه فقال: هل مررت بإبل لبني فلان ؟ قال: «نعم في مكان كذا وكذا، قد انكسرت لهم ناقة حمراء فوجدتهم وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها، قالوا: فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة، قال: «قد كنت عن عدتها مشغولاً»، فقام فأتى بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة، ثم أتى قريشًا فقال: «سألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها

من الرعاة فلان وفلان، وسألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان، وهي مصبحتكم بالغداة على الثنية، قال: فغدوا إلى الثنية ينظرون أصدقهم ما قال، فاستقبلوا الإبل فسألوا: هل ضل لكم بعير؟ قالوا: نعم، فسألوا الآخر: هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا: نعم، قالوا: فهل كانت عندكم قصعة؟ قال أبو بكر: وأنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا هرقوه في الأرض، وصدقه أبو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق.

ثانيًا: التخريج

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الطبراني الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد في «المعجم الكبير» (٢٤ / ٤٣٢ / ١٠٥٩) قال:

- حدثنا أسلم بن سهل الواسطي، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا محمد بن الحسن المزكى (ح).
- وحدثنا القاسم بن عباد الخطابي، حدثنا إسحاق بن بهلول الأنباري، حدثنا أبي (ح).
- وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا رزق الله بن موسى، حدثنا شبابة بن سوار.

قالوا: حدثنا عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي... القصة.

ثالثًا: التحقيق

القصة واهية، حيث إن الخبر الذي جاءت به القصة واهٍ وعلته عبد الأعلى بن أبي المساور.

١- قال الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي في كتابه «المجروحين» (٢ / ١٥٦):

أ- عن عبد الأعلى بن أبي المساور أبي مسعود الجرار وقد قيل الخزاز من بني زهرة من ساكني الكوفة يروي عن الشعبي ونافع، روى عنه وكيع وأهل الكوفة كان ممن يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات حتى إذا سمعها المبتدي في هذه الصناعة علم أنها معمولة.

ب- أخبرنا مكحول قال: سمعت جعفر بن أبان يقول: سمعت نمير يقول: عبد الأعلى بن أبي المساور متروك الحديث.

جـ- أخبرنا الحنبلي قال: سمعت أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال: عبد الأعلى بن أبي المساور ليس بشيء.

٢- قال أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» (ت٢٣٢):

«عبد الأعلى بن أبي المساور الكوفي: منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه كما بين ذلك الإمام السيوطي في «التدريب» (١ / ٤٣٩): «البخاري يطلق: (فيه نظر)، و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلتُ: ومن قول الإمامين البخاري وابن حبان رحمهما الله يتبين للمبتدئ في هذه الصناعة أن القصة موضوعة معمولة لا تحل روايتها إلا لبيان أنها واهية.

٣- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (ت / ٣٨٠): «عبد الأعلى بن أبي المساور: «متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- وقد أخرج الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي في كتابه «الضعفاء الكبير» (٣ / ٦١ / ١٠٢٥) قول الإمامين البخاري ويحيى بن معين رحمهما الله في عبد الأعلى بن أبي المساور أبو مسعود الجرار «منكر الحديث - ليس بشيء».

٥- وأورد الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ٥٣١ / ٤٧٣١) وأقرَّ أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه والتي أوردناها آنفًا من أصولها حيث قال: «عبد الأعلى بن أبي المساور [ق] الكوفي الجرار الفاخوري عن الشعبي لحقه جبارة بن المغلس ضعفوه، قال يحيى وأبو داود: ليس بشيء، وقال ابن نمير والنسائي: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف». اهـ.

٦- قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية علتها عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك ليس بشيء لا تحل الرواية عنه، لذلك أورد حديث هذه القصة الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ٧٥) وقال: «رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك كذاب». وبهذا يتبين أن حديث القصة «موضوع» وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي ﷺ.

وهذا تطبيق لقول الإمام ابن حبان في عبد الأعلى بن أبي المساور: كان ممن يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات حتى إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة علم أنها معمولة». اهـ.

رابعًا: طريق آخر للقصة

وهذه القصة أوردها ابن هشام في «السيرة» (٢ / ١١، ١٢، ١٣) بمعناها بما فيها من الإبل بسند منقطع واهٍ ح(٣٩٩) حيث قال ابن هشام: «قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي

طالب رضي الله عنها (واسمها هند) في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول: ما أُسْرِي برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين» القصة.

خامسًا: التحقيق

بالنظر في السند الذي جاء به متن القصة في سيرة ابن هشام وفيه قال: «قال محمد بن إسحاق وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب.. قلت: هذا السند منقطع بقوله: «فيما بلغني» حيث تخفي هذه البلاغات المتروكين والكذابين ولقد حصلت على طريق آخر عن محمد بن إسحاق كشف عن حقيقة ما ذهبنا إليه من إخفاء البلاغات للمتروكين والكذبين بنفس المتن الذي ذكره ابن هشام.

سادسًا: طريق آخر للقصة يكشف عما أخفته البلاغات

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره (٨ / ٤) ح(٢٢٠١٣) حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن السائب عن أبي صالح بن باذام عن أم هانئ بنت أبي طالب، في مسرى النبي ﷺ أنها كانت تقول:

«ما أُسْرِي برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر، أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين». اهـ.

سابعًا: التحقيق

حاولت أن أذكر المتن عند ابن جرير الطبري كاملاً ليتبين للقارئ الكريم أن المتن في سيرة ابن هشام هو نفسه المتن عند ابن جرير الطبري، وأن ما رواه ابن هشام عن محمد بن إسحاق بلاغًا عن أم هانئ كشفه ما أخرجه الإمام الطبري من طريق محمد بن إسحاق من حديث أم هانئ كما هو مبين من المقارنة الآتية:

١- سيرة ابن هشام: قال محمد بن إسحاق وكان فيما بلغني عن أم هانئ...» القصة.

٢- تفسير ابن جرير الطبري: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن السائب عن أبي صالح باذان عن أم هانئ. القصة.

قلت: إذن البلاغات بالمقارنة أخفت محمد بن السائب وأبا صالح باذان.

وأظهرها ما أخرجه الطبري في «تفسيره».

وبهذا يصبح السند واهيًا والقصة واهية وفيها علتان:

الأولى: محمد بن السائب.

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٦ / ٣١٨ / ٥٨٢٥) وقال محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبي أبو النضر الكوفي روى عن أبي صالح بن باذام مولى أم هانئ وآخرين، وروى عنه: محمد بن إسحاق وآخرون.

قال أبو بكر بن خلاد الباهلي عن معتمر بن سليمان عن أبيه كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي.

وقال عمرو بن الحصين عن معتمر بن سليمان عن ليث بن أبي سليم بالكوفة كذابان الكلبي والسدي يعني محمد بن مروان.

٢- أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢ / ١٦٣) قال: محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض. اهـ.

العلة الأخرى: أبو صالح باذام.

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١ / ٣٦٢ / ٦٢٥) وقال: باذام ويقال: باذان أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، روى عن أم هانئ وآخرين وروى عنه محمد بن السائب الكلبي وآخرون، قال أبو بكر بن حيثمة عن يحيى بن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: كان ابن مهدي ترك حديث أبي صالح.

٢- وأورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١ / ٩٣) قال: باذام - بالذال المعجمة ويقال آخره نون، أبو صالح مولى أم هانئ ضعيف مدلس. اهـ.

قلت: هو متروك في رواية الكلبي عنه وفوق ذلك كما تبين مدلس وقد عنعن في القصة فلا يقبل حديثه.

ملحوظة هامة: حدث خطأ - قد يكون مطبعيًا - حيث جاء في السند الذي أخرجه ابن جرير: «أبو صالح بن باذام» والصحيح: أبو صالح باذام مولى أم هانئ.

بهذا يتبين أن القصة من هذا الطريق واهية بما فيها من مدلسين وكذابين فهذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

ثامنًا: طريق آخر للقصة

أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٦٦)

قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي حدثني إسحاق بن حازم عن وهب بن كيسان عن أبي مرة مولى عقيل عن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت: «ما أسري به إلا من بيتنا، نام عندنا تلك الليلة صلى العشاء ثم نام فلما كان قبل الفجر انبهنا للصبح فقام، فلما صلى الصبح قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم».

تاسعًا: التحقيق

وهذا الطريق الذي جاءت منه القصة واهٍ وعلته محمد بن عمر الأسلمي.

١- أورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٩٠) قال: «محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي المدني، كان يروي عن الثقات المقلوبات وعن الأثبات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك، كان أحمد بن حنبل يكذبه».

٢- وأورده الإمام الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢ / ١٩٤) قال: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني القاضي نزيل بغداد متروك. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق أيضًا واهٍ جدًا بالواقدي الكذاب المتروك.

وهذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

ملحوظة هامة: لقد حققنا جميع طرق القصة حتى لا يتوهم أن كثرة الطرق يقوي بعضها بعضًا ويظن تحسين القصة، ولكن هيهات هيهات، فقد نقل الحافظ ابن كثير في كتابه «اختصار علوم الحديث» (ص٢٣) قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: ولقد تبين من تخريج القصة بجميع طرقها وتحقيقها أن طرق القصة لا تخلو من الكذابين أو المتروكين، وبتطبيق هذه القاعدة يصبح الضعف شديدًا لا يزول بالمتابعات، بل يزيد القصة وهناً على وهن.

بدائل صحيحة تبين ما صح في قصة الإسراء:

والصحيح في قصة الإسراء والمعراج جاء من حديث أنس رضي الله عنه خاليًا من قصة الإبل المكذوبة أخرجه البخاري ح(٣٥٧٠، ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٥٧١٧، ٦٥٨١)، ومسلم ح(١٦٢).

ثانيًا: وكذلك من حديث أبي ذر رضي الله عنه خاليًا من قصة الإبل المكذوبة.

أخرجه البخاري ح(٣٤٩، ١٦٣٦، ٢٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

ثالثًا: وكذلك جاءت القصة من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٣٢٠٧، ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم ح(١٦٤).

رابعًا: جاءت قصة الإسراء والمعراج صحيحة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه البخاري ح(٣٢٣٩، ٣٣٩٦)، ومسلم ح(١٦٥)، وكذلك أخرجها البخاري ح(١٥٥٥، ٣٣٥٥، ٥٩١٣)، ومسلم (١٦٦) من حديث ابن عباس أيضًا.

خامسًا: وجاءت قصة الإسراء والمعراج صحيحة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجها مسلم ح(١٦٧)، والترمذي (٣٦٤٩).

سادسًا: وجاءت قصة الإسراء والمعراج من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجها البخاري ح(٣٤٤٠، ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨)، ومسلم ح(١٦٩).

سابعًا: وهذه قصة صحيحة تبين معجزة لرسول الله ﷺ أمام أسئلة قريش لرسول الله ﷺ عن مسراه ﷺ حيث أخرجها الإمام مسلم في صحيحه ح(١٧٢) قال: وحدثني زهير بن حرب حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز (وهو ابن أبي سلمة) عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه الله أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه)، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام».

والقصة أخرجها الإمام البخاري ح(٣٨٨٦، ٤٧١٠)، ومسلم ح(١٧٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

وبهذا يتبين أن تحدي قريش لرسول الله ﷺ لم يكن في الإبل ليلة الإسراء، ولكن التحدي كان في أسئلتهم لرسول الله ﷺ عن أشياء من بيت المقدس فرفعه الله لرسول الله ﷺ ينظر إليه وما يسألونه عن شيء إلا أنبأهم به ﷺ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

التيمم لإدراك الجماعة وخشية فواتها

يسأل الأمين أبو زيان من أصفون - إسنا يقول:
رجل يحافظ على صلاة الصبح في المسجد يوميًا، فأصبح يومًا على جنابة، وإذا اغتسل فاتته صلاة الجماعة، فهل يصح أن يتيمم ويصلي ثم يغتسل ويعيد صلاة الصبح؟

الجواب: الطهارة شرط في الصلاة ؛ لقول النبي ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم بغير طهور». (رواه مسلم).

وليست الجماعة بشرط في صحة الصلاة، وإن كانت الجماعة واجبة عند جمهور أهل العلم، والتطهر لا يكون إلا بالماء لمن وجده وقدر على استعماله، والتيمم بديل لأصحاب الأعذار، فعلى السائل أن يتطهر بالماء ويغتسل من الجنابة، ثم بعد ذلك يتوجه إلى المسجد، فما أدرك مع الجماعة صلاه، وما فاته مع الجماعة أتمه، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ» [المائدة: ٦]. والله ولي التوفيق.

الوائدة والموءودة

يسأل: عماد سمير محمد مليحة - كفر الشيخ - فوة يقول:
ما معنى هذا الحديث إن كان صحيحًا: «الوائدة والموءودة في النار»؟

والجواب: عن سلمة بن قيس الأشجعي قال: أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا: إن أُمَّنا ماتت في الجاهلية، وكانت تُقري الضيف وتصل الرحم، وإنها وأدت أُختًا لنا في الجاهلية ولم تبلغ الحنْث؟ فقال ﷺ: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتُسلم». والحديث حسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ومن قبله ابن عبد البر في التمهيد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

والحديث يدل على أن أولاد المشركين في النار مع آبائهم، الأولاد الذين ماتوا صغارًا قبل البلوغ، وهو وجه من الوجوه التي ذكرها العلماء في حكم أولاد المشركين الذين ماتوا قبل أن يبلغوا سن التكليف، وقيل: لعل النبي ﷺ أُطلع على ذلك كما أُطلع على عمرو بن لحي وراءه يجر قصبه (أمعاءه) في النار.

وتتميمًا للفائدة، فالوجه الثاني: أن أطفال المشركين في الجنة؛ لقوله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا»، وقوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». والقول الثالث: أنهم في مشيئة الله، فمن علم الله تعالى أنه إن بلغ آمن أدخله الجنة، ومن لم يؤمن لو بلغ أدخله النار، واستدلوا لذلك بقول النبي ﷺ لما سُئل عنهم فقال: الله أعلم بما كانوا فاعلين.

القول الرابع: أنهم يُجمعون يوم القيامة ويختبرون، فمن اجتاز الاختبار دخل الجنة وإلا فالنار.

قال ابن القيم: وهذا أعدل الأقوال، وبه يجتمع شمل الأدلة.

والله تعالى أعلم.

ويسأل سائل: كيف يتطهر المريض للصلاة إذا لم يمكنه غسل بعض أعضائه؟ وكيف يتيمم وهو على سريره لا يستطيع النزول لضرب الأرض، وكيف يصنع إذا عجز عن ذلك كله وأراد أن يصلي؟

أحكام طهارة المريض

الجواب:

١- يجب على المريض أن يتطهر بالماء من الحدث الأصغر ويغتسل به من الحدث الأكبر، فإن كان لا يستطيع التطهر بالماء لعجزه أو خاف زيادة المرض أو تأخر شفائه فإنه يتيمم، فيضرب الأرض الطاهرة بيديه ضربة واحدة يمسح بها جميع وجهه، ثم يمسح كفيه بعضهما ببعض، فإن لم يستطع أن يتطهر بنفسه فيوضئه أو ييممه غيره.

٢- إذا كان في بعض أعضاء الوضوء كذراعه أو قدمه جرح فإنه يغسله بالماء إن لم يضره الماء، فإن كان الماء يضره ترك غسل الأعضاء الأخرى.

٣- إذا احتاج المريض إلى التيمم فيتيمم بالمسح على الأرض أو الجدار القريب منه، فإن كان مرضه لا يمكنه من التيمم فليس عليه شيء في الطهارة ويصلي على حاله ولا إعادة عليه بعد ذلك.

٤- كذلك ثيابه أو مكانه إذا لم يمكنه المرض من تطهيرها البتة فليس عليه شيء ويصلي على حاله، والله تعالى يشفي كل مريض ويعافي كل مبتلى.

أحكام السفر المتكرر (يوميًا)

يسأل السائل: ممدوح إبراهيم متولي - قرية أبو فراخ - مركز ههيا - شرقية يقول: أسافر يوميًا من محل إقامتي إلى محل عملي بالقاهرة (٩٠ كيلو متر)، فهل أقصر الصلاة وأنا في العمل أم أصليها تامة؟

والجواب: المسافر سفرًا مباحًا له أن يقصر الصلاة كما صرح بذلك العلماء، والراجح في تحديد المسافة أنه كان في عرف الناس سفرًا.

وليس التردد اليومي بين محل الإقامة ومحل العمل مانعًا من القصر، لأنه مشقة متكررة.

فلك أحكام السفر من قصر الصلاة وجمعها وغير ذلك، والله الموفق.

المراد بحِلق الذكر

ويسأل يقول: ما صحة الحديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلَق الذكر، أو حلق العلم»؟

الجواب: روى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل، ورواه الترمذي في الدعوات والبيهقي في شُعب الإيمان، وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه السيوطي رحمه الله.

والمراد بحِلَق الذكر والعلم مجالس العلم، وليس حلقات الراقصين والمتمايلين بألفاظ غير مشروعة.

واستدل به الشيخ ابن باز رحمه الله في فتاواه ولم يشر إلى ضعفه، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع والسلسلة الضعيفة، وحسنه في السلسلة الصحيحة، وقال: يمكن القول بتحسينه بهذا الشاهد، وذكر شاهداً من حديث جابر مرفوعًا عند الحاكم، قال: ومن أجل ذلك أوردته هنا في الصحيحة، وكنت خرَّجتُ حديث الترمذي عن أبي هريرة في الضعيفة لتفرده بتفسير «الرتْع» فليتنبه لهذا إخواني القراء قبل أن يفاجئهم من اعتاد أن يدعي التناقضات.

وعليه فالحديث [حسن] في الغالب الأعم عند أهل العلم.

من محبطات الأعمال

النِّفاق

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْرًا، وجعل لكلِّ شيءٍ قَدْرًا، وأسبلَ على الخلائق من حفظه سِتْرًا، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافةً عذرًا ونُذرًا، وعلى آله وصحبه أخلدَ الله لهم ذكرًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فمع المحبط الثاني عشر من محبطات الأعمال وهو:

النِّفاق

قال الله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [التوبة: ٦٨، ٦٩].

يقول تعالى واصفًا حال المنافقين: إنَّ حالكم - أيها المنافقون - كحال أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاقِ والكفر، وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولادًا، واستمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا، وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم.

وقد استمتعتم بما قدر لكم، من ملاذ الدُّنيا كما استمتعوا، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل.

إنهم قد بطلت أعمالهم، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وكانوا هم الخاسرين. وأنتم مثلهم في سوء الحال والمال، والعاقبة الوخيمة. [تيسير الكريم الرحمن ٣ / ٢٦٢].

قال ابنُ رجب: والذي فسَّره أهلُ العلم المعتبرون أنَّ النفاقَ في اللغة من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه. [جامع العلوم: ٣٧٥].

والنِّفاق اصطلاحًا: هو إظهارُ الإيمان باللسانِ وكتمانُ الكُفْر بالقلب. [نضرة النعيم: ٥٦٠٤، ٥٦٠٥ / ١١].

وقد هتكَ الله سبحانه وتعالى أستارَ المنافقينَ، وكشفَ أسْرَارهمْ في القرآن، وجلَّى لعبادهِ أمُورَهم ليكونوا منها ومنْ أهْلِهَا على حذرٍ.

وذكرَ طوائفَ العالَم الثَّلاثة في أوَّل سورةِ البقرة: المؤمنينَ، والكفَّارَ، والمنافقينَ.

فذكرَ في المؤمنينَ أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدَّة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإنَّ بلية الإسلام بهم شديدة جدًا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نُصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، فلا يزالُ الإسلامُ وأهله منهم في محنةٍ وبليةٍ، لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزَّيغِ والخسران، والغلِّ والكفران، فالظواهرُ ظواهرُ الأنصار، والبواطن قد تحيزتْ إلى الكفار، فألسنتُهم ألسنةُ المُسالمين، وقلوبهم قلوبُ المحاربين، ويقولون: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» [البقرة: ٨].

ففسادُهم في الأرض كثير، وأكثرُ الناس عنه غافلون: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ» [البقرة: ١١، ١٢]، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٣].

لكلٍّ منهم وجهان: وجهٌ يلقَى به المؤمنينَ، ووجهٌ ينقلبُ به إلى إخوانه من الملحدينَ، «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» [البقرة: ١٤].

وزيادةً في كشفِ حقيقةِ القوم وبيان زيغهم

وضلالهم ضرب الله تعالى لهم مثلين، فقال سبحانه: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» [البقرة: ١٧].

وذلك مثلُ مَن آمن منهم ثم كفر، كما قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» [المنافقون: ٣].

فضرب الله لهؤلاء مثلاً كمثل رجل دخل مغارة مظلمة في ليلة باردة فاستوقد من غيره نارًا يستضيء بها، فما أن دخل المغارة وأبصر ما فيها وعرف مكانه حتى انطفأت النارُ، فقام حيران لا يدري من أين يخرج؟ ولا إلى أين يذهب؟

وكذلك المنافقون لما آمنوا وسعى نُور الإيمان بين أيديهم فانتفعوا به ومشوا به في الناس، فلما كفروا فقدوا هذا النور وقاموا حيارى في طُغيانهم يعمهون، لا يبصرون طريقًا ولا يهتدون سبيلاً فهم «صُمّ» لا يسمعون «بُكم» لا ينطقون، «عُمي» لا يبصرون، «فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [البقرة: ١٨].

أسماع قُلوبهم قد أثقلها الوقرُ، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيونُ بصائرهم عليها غشاوة العمى، فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرسٌ عن الحقِّ فهم بها لا ينطقون: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [البقرة: ١٨].

ثمَّ ضرب الله مثلاً آخر للفريق الثاني من المنافقين، وهم الحيارى المترددون الذين يتجلى لهم الحق أحيانًا فيهمون بقبوله، ثم تضعف إرادتهم فينكصون، فقال تعالى: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» [البقرة: ١٩].

فمثلُ هؤلاء الحيارى المترددين كمثل رجل في صحراء في ليلة شاتية ذات رعد وبرق فهو خائفٌ مستوحشٌ إذا سمع الرعد خاف على سمعه فجعل أصابعه في أذنيه، وإذا رأى البرق خاف على بصره، وما منع حذرٌ من قدر، «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» [البقرة: ٢٠]؛ لأنهم في قبضته وتحت قهره ومشيئته، «وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» [البقرة: ١٩].

وهذا الرجلُ في تلك الظلمة إذا أضاء له البرقُ مشي، وإذا أظلم قام حيران، وكذلك هؤلاء المنافقون المذبذبون يتجلى لهم الحق فيكادُ يأخذ بقلوبهم، ثم تغلب ظلمة قلوبهم نُور الحق فينكسون. [دين الفطرة ١ / ٢٩٤، ٢٩٥ د / عبد العظيم بدوي].

«يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ» [التوبة: ٦٤]، ولقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وضرب لعباده أمثالهم ليكونوا منهم على حذر:

أولاً: يتربصون الدوائر بأهل القرآن والسنة:

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» [النساء: ١٤٠، ١٤١].

ثانيًا: يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه:

قال الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» [البقرة: ٢٠٤].

ثالثًا: أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد:

«وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ» [البقرة: ٢٠٥].

رابعًا: يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته:

«الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [التوبة: ٦٧].

خامسًا: إن حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين:

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا» [النساء: ٦١].

سادسًا: أحسنُ الناس أجسامًا وأخلبهم لسانًا والطفهم بيانًا وأخبثهم قلوبًا:

«وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» [المنافقون: ٤].

سابعًا: إن أصاب أهلَ القرآن والسنة عافيةٌ ونصرٌ وظهورٌ ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاءٌ من الله وامتحان يمحِّصُ به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم:

«إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [التوبة: ٥٠، ٥١].

ثامنًا: ثقلت عليهم النصوص فكرهوها:

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» [محمد: ٩].

تاسعًا: مطيتهم الكذب بشهادة الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» [المنافقون: ١].

وقال تعالى: «لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [الحشر: ١١].

بل ويؤكد كذبهم بالأيمان الفاجرة الآثمة، قال الله عنهم: «وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [المجادلة: ١٤].

«وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» [الأحزاب: ١٣].

عاشرًا: يؤخرون الصلاة عن وقتها، وإذا قاموا إليها قاموا وهم كُسَالَى:

«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ» [التوبة: ٥٤].

وعليه، فإنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب لها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر، ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين. [تيسير الكريم الرحمن ٣ / ٢٤٩].

حادي عشر: إذا عاهدوا لم يفوا:

«وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» [التوبة: ٧٥-٧٧].

ثاني عشر: يطلبون العزة من الكافرين:

قال تعالى: «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

ثالث عشر: من دأبهم التردد:

«فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» [التوبة: ٤٥].

«مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» [النساء: ١٤٣].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق: كمثل الشاة العائرة بين الغنمتين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع». [صحيح الجامع: ٥٨٥٣].

رابع عشر: التخلف عن صلاة الجماعة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مَن سرَّه أن يَلْقَى الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإنَّ الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى - أي يتمايل - بين الرجلين حتى يقام في الصف. [صحيح مسلم: ٦٥٤].

وفي رواية له قال: إنّ رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

خامس عشر: ثقل صلاتي الفجر والعشاء عليهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا». [متفق عليه].

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا الصبح فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا. قال: «أَشَاهدٌ فلانٌ». قالوا: لا. قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوًا على الركب». [صحيح الترغيب ٤١٩].

سادس عشر: تأخير صلاة العصر إلى الاصفرار:

عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله إلا قليلاً». [مسلم: ٦٢٢ / ٤٣٤ / ٢١].

سابع عشر: الخيانة والغدر:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وغدا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». [متفق عليه].

ثامن عشر: حالهم في الأمن: علو ألسنتهم بالقول العنيف، وعند البأس: هم أجبن قوم:

قال تعالى: «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ» [الأحزاب: ١٩].

فهذه بعض أمارات النِّفاق، فاحذرها فإن الله تعالى يقول: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ

عَذَابٌ مُقِيمٌ» [التوبة: ٦٨].

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» [النساء: ١٤٠].

ثم أخبر سبحانه أن المنافقين أسفل من الكافرين في النار، فقال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا» [النساء: ١٤٥].

أموالهم وأولادهم عذاب عليهم: «فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» [التوبة: ٥٥].

وحسب المنافق أن يفضحه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» [الطارق: ٩].

إذا جُمعوا ليوم التلاق، وتجلَّى الله - جل جلاله - للعباد وقد كشف عن ساق ودُعوا إلى السُّجُود فلا يستطيعون: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» [القلم: ٤٢، ٤٣].

كيف بهم إذا حُشِروا إلى جسر جهنم ؟

وهو أدقُّ من الشعرة، وأحد من السيف، وهو دحضٌ مزلة، مظلم لا يقطعه أحد إلا بنور يبصر به مواطئ الأقدام، فقُسمت بين الناس الأنوار، وهم على قدر تفاوتها في المرور، وأُعطوا نورًا ظاهرًا مع أهل الإسلام، كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتون بالصلاة والزكاة والحج والصيام، فلما توسطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق، فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح، فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسُورٍ له باب، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وما يليهم من قبلهم العذاب والنقمة.

«يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ» [الحديد: ١٣، ١٤].

نصومُ كما تصومونَ، ونصلِّي كما تُصلُّون، ونقرأ كما تقرءونَ، ونتصدقُ كما تصدَّقون، ونحج كما تحجون ؟ فما الذي فرَّق بيننا اليوم حتى انفردتم دوننا بالمرور ؟

«قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [الحديد: ١٤، ١٥].

تالله لقد قَطَعَ خوفُ النِّفاق قلوبَ السابقينَ الأولين لعلمهم بدقه وَجُلِّه، وتفاصيله وجُمله، ساءَتْ ظُنُونُهم بنُفُوسهم، حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين، قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم ؟

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.

وعن حنظلة الأسيدي وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول ؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات». [مسلم: ٢٧٥٠ / ٢١٠٦ / ٤].

تالله، لقد مُلئت قلوبُ القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

(بتصرف: موارد الظمآن لدروس الزمان ٤ / ٢٨٩).

فاحذر - يا أخي - الوقوع في صفات المنافقين وجانب نعوتهم، واجتهد في إخلاص عملك لله والقيام بالعبادة له ظاهرًا وباطنًا، وأدِّ الصلوات المفروضة مع الجماعة وأنت عظيم الرغبة شديد الفرح بها، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فهو آية الإيمان، وعليك بالثبات على الحق، وأكثر من ذكر الله، واصدق في حديثك، وأدِّ ما ائتمنت عليه على التمام، وفِ بعهدك على الدوام، وكن حليمًا في الخصام، وسل الله يهب لك إيمانًا راسخًا، وأن يعافيك من النفاق.

«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، والقسوة، والغفلة، والعيلة، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصَّمَمِ والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام». [صحيح الجامع: ١٢٨٥].

آمين آمين.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فإن الحديث عن سنن الفطرة يستمد أهميته من المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» [البقرة: ١٢٤]. ومن أصح ما قيل في تفسير هذه الآية ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الشعر، وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والاختتان، ونتف الإبط، وغسل مكان الغائط والبول». قال القرطبي: وعلى هذا القول فالذي أَتَمَّ هو إبراهيم عليه السلام وهو ظاهر القرآن. (تفسير القرطبي ٢ / ٩٨).

ونقدم لهذه السنن من خلال هذه التوجيهات الثلاثة التالية:

الأول: مواجهة الضرورات الحياتية التي لا تدرك إلا بالتتبع والمعايشة مثل: تقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والاستنجاء.

الثاني: تحسين الهيئة والاعتناء بزينتها والتميز بمظاهر الفطرة وسننها من خلال الختان وإعفاء اللحية وقص الشارب وإكرام الشعر.

الثالث: الالتزام بالسنن التعبدية التي تحقق كمال الطهارة وتمام النظافة، وتؤكد الاقتداء بهدي رسول الله ﷺ مثل: السواك، والمضمضة، والاستنشاق، وغسل البراجم، والانتضاح، والتعطر، والنكاح.

وقد جمعت هذه التوجيهات خصالاً كثيرة من خصال الفطرة لتؤكد أن المسلم لا يجد في حياته من خلالها إلا الطهارة والنقاء ولا يستشعر من تطبيقها إلا النضرة والنقاء. (قبس من هدي الصلاة، علي مرسي ص١٣).

التعريف بسنن الفطرة:

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المقصود بها: هي تلك السنن القديمة التي اختارها الله تعالى للأنبياء عليهم السلام وجبلهم عليها وفطرهم على محبتها واستحسانها، وجعلها من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليعرف بها أتباعهم ويتميزوا بها عن غيرهم. قال ابن حجر في الفتح: قال الإمام الخطابي: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالفطرة هنا - أي في حديث خمس من الفطرة - السنة، والمعنى أنها من سنن الأنبياء، وقالت طائفة: هي الدين، وبه جزم أبو نعيم في المستخرج، وقال النووي في شرح المهذب: وجزم الماوردي وأبو إسحاق بأن المراد بالفطرة في هذا الحديث الدين.

قال النووي: إن الذي نقله الخطابي هو الصواب ؛ لما جاء في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من السنة قص الشارب»، وقد نبه شيخنا ابن الملقن على هذا، ولم أر الذي قاله في شيء من نسخ البخاري بل الذي فيه من حديث ابن عمر بلفظ الفطرة وكذا من حديث أبي هريرة. نعم وقد وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة في حديث عائشة عند أبي عوانة في رواية. (الفتح ١٠/ ٣٥١، ٣٥٢).

وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تبين لنا من

مجموعها هذه السنة ؛ منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». متفق عليه.

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة». (رواه مسلم: ٢٦١).

والمتأمل في الأحاديث الواردة في سنن الفطرة يجد:

١- أنه رغم اتفاق الأمة على أن هذه الخصال من الملة، إلا أن الاختلاف قام بين الأئمة حول تحديد أحكامها الشرعية التي انحصرت عندهم بين الوجوب والندب.

٢- لما تعلقت بعض هذه الخصال بكثير من المصالح الدينية والدنيوية استحث الشرع المسلمين على التمسك بها بعدما رتبها عليهم في الأحكام.

٣- أن معايشة المسلم لهذه الخصال وتطبيقها في حياته، تجعل لها الأثر الفعال في الأمور التي تصلح من سَمْته وتزكي ظاهره وباطنه. (نقلاً عن قبس من هدي الصلاة ص٢١٨).

ونبدأ بالحديث عن هذه السنن بما يتعلق بالاستنجاء من أحكام وآداب:

إن قضاء الحاجة ضرورة من الضرورات الحياتية التي أحاطها الشرع الشريف بسياج منيع من السلوك الإيماني المتحضر الذي يدعم الأخلاق الراقية النبيلة بين المرء والله تعالى، ويعمل في ذلك الوقت على حماية صحة الإنسان وبيئته النظيفة من التقذر والتلوث، ويؤدي إلى ستر العورات من الكشف والتبذل، وقد اهتم الشرع بتلك السلوكيات الرفيعة مع من يقيم في الحضر ومن يعيش في البادية على حد سواء، ذلك لأن الأدب الإسلامي الرفيع ومنهجه التربوي الهادف في هذا الشأن يواجه مع كل حالة ظرفها ومقتضاها. (قبس من هدي الصلاة، علي مرسي ص٢٧).

وسوف نتناول في هذا العدد ما يتعلق بقضاء الحاجة من أحكام وآداب:

أولاً تعريف الاستنجاء:

وقد اقتصرت عليه لأنه أشهر الألفاظ المستعملة في قضاء الحاجة في كتب الفقه:

١- في اللغة: من معاني الاستنجاء الخلاص من الشيء، يقال: استنجى حاجته.... أي خلصها، وأنجيت الشجرة واستنجيتها: قطعتها من أصلها. (لسان العرب لابن منظور).

٢- وفي الاصطلاح: إزالة ما يخرج من السبيلين، سواء بالغسل بالماء أو المسح بالحجارة ونحوها عن موضع الخروج وما قرب منه. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٤ / ١١٣).

وهناك ألفاظ ذات صلة بهذا اللفظ وقريبة المعنى منه مثل الإنقاء والاستنزاه، والاستبراء، والاستطابة، والاستجمار، إلا أن هذا الأخير يفترق عن الاستنجاء في كونه يقتصر فيه على الأحجار فقط.

ثانيًا: حكم الاستنجاء:

ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب الاستنجاء، واحتجوا بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار، يستطيب بهن، فإنها تجزئ عنه». رواه أبو داود، والنسائي.

ولحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نستجمر بأقل من ثلاثة أحجار». أخرجه مسلم.

قالوا: والحديث الأول أمر، والأمر يقتضي الوجوب، وقوله ﷺ: «فإنها تجزئ عنه». والإجزاء إنما يستعمل في الوجوب، ونهى ﷺ عن الاقتصار على أقل من ثلاثة أحجار، والنهي يقتضي التحريم، وإذا حرم ترك بعض النجاسة فجميعها أولى. (الموسوعة الفقهية ٤ / ١١٤).

وليس على من نام أو لمس المرأة أو القبل أو خرجت منه ريح استنجاء باتفاق العلماء لأن الاستنجاء شرع لإزالة النجاسة، والريح ليس نجاسة حسية. (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١ /٣٤٦).

وهذا الأمر يقع فيه كثير من الناس ظنًا منهم بوجوب الاستنجاء عند إخراج الريح، وقد بينا اتفاق العلماء على عدم وجوبه.

وقد حكى النووي الإجماع على ذلك، ثم قال: قال الشيخ... في الانتخاب: إن استنجى لشيء من هذا - أي الريح والنوم ولمس المرأة والقبل - فهو بدعة. (المجموع للنووي ٢ / ١١٣).

ثالثًا: ما يُستَنجى به وما لا يُستَنجى به

اتفق الفقهاء على جواز الاستنجاء بأمرين:

١- الماء، ويغسل به المحل حتى يعلم أنه طهر؛ لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء فيستنجي به». متفق عليه. (قبس من هدي الصلاة، علي مرسي ص٢٩).

فالحديث يدل على ثبوت الاستنجاء بالماء عن النبي ﷺ، فالاستنجاء بالماء هو الأصل في كمال التطهير.

٢- الحجر وما في معناه: فيجزئ في الاستنجاء المسح بالأحجار ؛ لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار فإنها تجزئ عنه.

(رواه أحمد ٦ / ١٣٣، وأبو داود).

ولما ثبت عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قيل لسلمان: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال سلمان: أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن يستنجي برجيع أو عظم». رواه مسلم، وأحمد في مسنده ٥ / ٢٣٩).

قلت: فدل الحديث الأول على صحة الاستنجاء بالأحجار والاقتصار عليها، ودل الحديث الثاني على النهي عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار، وهو ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة.

ويستفاد من الحديث أيضًا جواز الاستنجاء بما يقوم مقام الحجر من الخشب والورق والخرق وغير ذلك.

قال الإمام الشوكاني: ويدل على عدم تعين الحجر نهيه ﷺ عن العظم والبعر والرجيع، ولو كان متعينًا لنهى عما سواه مطلقًا، وهو ما ذهب إليه الجمهور خلافًا لبعض أهل الظاهر الذين قالوا: إن الاستجمار بالحجر متعين لنهيه ﷺ عنه فلا يجزئ غيره. (نيل الأوطار ١ / ٢٦٢).

والخلاصة: أنه يصح الاستجمار بكل جامد طاهر غير مؤذ ولا محترم لكونه طعامًا أو لشرفه أو لأنه حق للغير.

والأفضل الجمع بين الماء والأحجار أو ما يقوم مقامهما بالشروط السابقة، فيقدم الحجر ونحوه، ثم يتبعه الماء ؛ لأن عين النجاسة تزول بالحجر أو الورق، والأثر يزول بالماء. (مغني المحتاج للشربيني ١/ ٤٣، الشرح الصغير ١ / ٩٦، المغني لابن قدامة ١ / ١٥١).

قلت: وهذا إذا لم يترتب على الجمع بينهما مفسدة كما لو كان في أماكن عامة لا يوجد بها سلات للمهملات أو غير ذلك.

قال أهل العلم: ويجوز الاقتصار على أحدهما فإن اقتصر على أحدهما فالماء أفضل لأنه يزيل عين النجاسة وأثرها. (نفس المصادر السابقة).

ويشترط للاستنجاء بالأحجار ونحوها ما يأتي:

١- ألا يجف النجس الخارج، فإن جف تعين الماء.

٢- ألا ينتقل عن المحل الذي أصابه عند خروجه واستقر فيه، أو ألا يجاوز صفحته وحشفته، فإن انتقل عنه، بأن انفصل عنه، تعين الماء في المنفصل اتفاقًا.

٣- ألا يطرأ عليه شيء رطب أجنبي عنه.

٤- أن يكون الخارج من فرج معتاد، فلا يجزئ من غيره كالخارج بالفصد، أو منفذ منفتح تحت المعدة. (راجع في هذا نفس المصادر السابقة).

وإذا كان الاستنجاء بالماء والحجر يجزئ فإن هناك أشياء أخرى لا يجوز الاستنجاء بها وهي:

١- العظم والروث أو الرجيع، ودليل ذلك حديث سلمان الفارسي الذي تقدم وفيه: نهى النبي ﷺ عن أشياء منها: «أو يستنجي برجيع أو بعظم». وبحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ أن يتمسح برجيع أو بعظم». وبحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ أن يتمسح بعظم أو بعرة». رواه مسلم.

وقد أبان النبي ﷺ علة النهي عن الاستنجاء بالعظم والرجيع بما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم». رواه مسلم. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري، فقد بين النبي ﷺ أن العلة في النهي عن الاستنجاء بالعظم - إذا كان العظم عظم مذكاة - أو الروث أنها طعام إخواننا من الجن وعلف دوابهم.

٢- طعام الآدميين وعلف دوابهم قياسًا على طعام الجن وعلف دوابهم، قال الشيخ ابن عثيمين: والدليل أن الرسول ﷺ نهى أن نستنجي بالعظم والروث لأنهما طعام الجن ودوابهم والإنس أفضل فيكون النهي عن الاستجمار بطعامهم أولى. (الشرح الممتع ١ / ١٠٩).

٣- ما يمنع الاستنجاء به لنجاسته لما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجد فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة، وقال: «هذه ركس». رواه البخاري.

٤- ما يمنع الاستنجاء به لكونه محترمًا، قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع: والمحترم ما له حرمة مثل كتب العلم الشرعي، والدليل قوله تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢]، والتقوى واجبة، فمن أجل ذلك لا يجوز أن يستجمر الإنسان بشيء محترم. (الشرح الممتع ١ / ١٠٩).

٥- ما يمنع الاستنجاء به لكونه لا ينقي المحل: فإن كان الذي يستنجى به لا يحصل به الإنقاء فإنه لا يجزئ لأن المقصود بالاستنجاء هو الإنقاء كأن يكون أملس جدًا أو ذا رطوبة أو نحو ذلك.

٦- ما يمنع الاستنجاء به لكونه غير مطهر لغيره، وهو ما يكون سوى الماء من المائعات كزيت الصابون والكلور وغير ذلك من المائعات ؛ لأن هذه المائعات وإن كانت طاهرة في نفسها إلا أنها غير مطهرة لغيرها كما سبق بيان ذلك في الكلام على أنواع المطهرات.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن التأويل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلاً في التفسير مقدمًا على الشرع، فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأويل النصوص إلى ما يوافق مقتضى العقل خلافًا لمنهج السلف الذين احتكموا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فطوعوا المفاهيم العقلية لها ؛ لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو أمر يقوم بالعاقل وليس هو عينًا قائمة بنفسها كما يعتبره بعض الفلاسفة، والعقل يعجز عن الإحاطة بحقائق الدين، لأنه قاصر، أما الدين فهو دين الله خالق الخلق ومالك الملك: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك: ١٤]

وهذا الدين شامل لكل ناحية من نواحي الحياة، وصالح لكل زمان ومكان، ويتناسب مع جميع الخلق في الماضي والحاضر والمستقبل.

وأما العلم الإنساني الذي يحيط بكل شيء فلم يوجد في الماضي أبدًا، قال الله تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١٠]، وقال: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء: ٨٥]، وما تزال الاكتشافات العلمية تمضي في طريقها لتبرهن على أنه كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد إحساسًا بجهله وشعورًا بقصوره وعجزه.

وقد رد الإمام أحمد على الجهمية والمعتزلة، فبين أن السلف كانوا ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأن منهج السلف فيمن أراد معرفة شيء من الدين أن ينظر فيما قال الله وفيما قال الرسول ﷺ، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، خلافًا لأصحاب المنهج الكلامي الذين اعتمدوا على ما رأوه ثم نظروا في الكتاب والسنة فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها، وإذا وجدوها تخالفه أولوها بما يتوافق مع عقولهم. (بتصرف من قواعد المنهج السلفي. د. مصطفى حلمي).

معاني التأويل في الشرع

والتأويل ليس مذمومًا كله، قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وقال تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» [آل عمران: ٧]. على الوجه القائل بالوقف على هذا المقطع، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل.

لذلك فالتأويل له معان متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره.

أولاً: بمعنى التفسير

كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية يقولون: تأويل قوله تعالى كذا وكذا، ثم يذكرون المعنى. وسُمي التفسير تأويلاً لأننا أولنا الكلام، أي: جعلناه يؤول إلى معناه المراد به.

ثانيا: تأويل بمعنى عاقبة الشيء

وهذا إن ورد في طلب، فتأويله فعله إن كان أمرًا، وتركه إن كان نهيًا، وإن ورد في خبر، فتأويله وقوعه.

مثاله في الخبر قوله تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ» [الأعراف: ٥٣].

فالمعنى: ما ينظر هؤلاء إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك المخبر به، يقول الذين نسوه من قبل: «قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ».

ومنه قول نبي الله يوسف عليه السلام لما خر له أبواه وإخوته سجدًا، قال: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ» [يوسف: ١٠٠]، معناه: هذا وقوع رؤياي ؛ لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

أهل السنة والمبتدعة

الحلقة الأولى

إعداد/ معاوية محمد هيكل

ومثاله في الطلب قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» [النصر:١] يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن، أي: يعمل به.

ثانيا: المعنى الثالث للتأويل

صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى احتمال آخر مرجوح لدليل يقتضي ذلك، فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل على الصحيح فهذا تأويل فاسد، ومن ذلك تأويل المتكلمين لآيات وأحاديث الأسماء والصفات بدعوى التنزيه لموافقة أدلتهم العقلية في قضية الأسماء والصفات، فهذا ليس بدليل تعارض به نصوص الكتاب والسنة، ودعوى التنزيه لا تعارض الإثبات الذي عليه أهل السنة إذ إنهم لا يكيفون صفة ولا يشبهون الخالق بالمخلوق، لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]، فنفي التشبيه تنزيهاً للخالق مع إثبات صفتي السمع والبصر، وبالجملة فليست أدلة المتكلمين العقلية المأخوذة من علم الكلام بأدلة تؤول أو تخصص أو تقيد بها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره بدليل شرعي صحيح في نفس الأمر، فهذا تأويل صحيح مقبول.

على أن التأويل الصحيح في النصوص عند أهل العلم يتطلب كذلك:

١- أن يحتمل اللفظ لغة هذا المعنى المرجوح.

٢- ورود ما يفيد وجوب هذا التأويل لظاهر النصوص الشرعية من النبي، إذ يمتنع اقتضاء صرف نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها بدون بيان وإرشاد من النبي ﷺ.

٣- بيان النبي ﷺ لذلك وأن ظاهر النص غير مراد.

٤- سلامة دليل التأويل من معارض. (انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ونقض المنطق لابن تيمية ص٥٩، ٦٠).

صور من تحريف المبتدعة للنصوص

تحريف النصوص ظاهرة خطيرة، وقع فيها كثير من المبتدعة، ولكن بنسب متفاوتة، وسلفهم في هذا اليهود، فقد وصفهم الله بقوله: «أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [البقرة: ٧٥]، وقال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» [البقرة: ٧٩].

وعاقبة التحريف عندهم: تشويه النصوص وتكدير المنابع، حتى يتسنى للمبتدعة العبث في دين الله تعالى.

والتحريف ثلاثة أنواع

النوع الأول: تحريف اللفظ

أخذ اليهود بنصيب وافر من هذه الصفة، فقد قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» [البقرة: ٥٩، ٥٨].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل: «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ»، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حِطَّةٌ حَبَّةٌ في شعرة. (البخاري: ٤٤٧٩).

والمعنى: حبة حنطة.

وتحريف اللفظ يؤدي إلى تحريف المعنى غالبًا، ولهذا اتصف به المبتدعة، ومن أمثلة ذلك تحريفهم لقوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]، فظاهر اللفظ أن الله استوى على العرش: علا عليه، ولكن المبتدعة صرفوا اللفظ عن ظاهره وحرفوه وقالوا: «استوى» بمعنى «استولى».

وهذا تحريف بيّن لأنه ما دل عليه دليل، بل الدليل على خلافه.

وقد جمع الإمام ابن القيم في نونيته بين تحريف اليهود وتحريف الجهمية (٦٢/٢) فقال:

أمر اليهود بأن يقولوا حطة ... فأبوا وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوى ... فأبى وزاد الحرف للنقصان

نون اليهود ولام جهمي هما ... في وحي رب العرش زائدتان

وقد كان المعتزلة يحرفون كثيرًا من النصوص، ومن ذلك قول الله تعالى: «وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤].

حيث يقرؤون لفظ الجلالة بالنصب، لكي يوافق مذهبهم الباطل في نفي صفة الكلام لله عز وجل.

ومن لطائف الأجوبة العلمية المفحمة للرد عليهم: أن أحد المعتزلة قال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: «وكلم الله موسى» بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا. فكيف تصنع بقوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» [الأعراف: ١٤٣]؟ فبهت المعتزلي؟

■ النوع الثاني: تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه ■

والمقصود به: صرف اللفظ عن ظاهره، وما يفهمه كل عربي عن معناه، وهو الذي يسميه بعض المتأخرين بالتأويل، وهو أكثر خفاء من النوع الأول، وباب التأويل الفاسد وغير المستساغ باب عريض دخل منه الزنادقة لهدم الإسلام، حيث حرفوا النصوص وصرفوها عن معانيها الحقيقية، وحمّلوها من المعاني ما يشتهون.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلاً، تزيينًا له وزخرفة، ليقبل. وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»» [الأنعام: ١١٢]، والعبرة للمعاني لا للألفاظ فكم من باطل أقيم على دليل مزخرف عورض به دليل الحق.

ومن أمثلة التحريف: تأويل المبتدعة لآيات الصفات كتفسير صفة الغضب بإرادة الانتقام وتفسيرهم الرحمة بإرادة الإنعام، وقولهم أن المراد باليدين النعمة أو القدرة، وكذلك تأويل الشفاعة والصراط والميزان، وعذاب القبر، ونحوها، وأسرف بعض القرامطة والباطنية ومن نحا نحوهم حينما جعلوا للقرآن ظاهرًا وباطنًا، فجعلوا الظاهر: قرآن العامة، والباطن: قرآن الخاصة.

التأويل عند المتكلمين يقتضي اتخاذ العقل أصلاً مقدماً على الشرع فإذا ظهر تعارض بينهما أولوا النصوص بما يوافق العقل خلافاً لمنهج السلف الذين احتكموا إلى النصوص وطوعوا العقل لها.

قال ابن تيمية رحمه الله: «التأويل المذموم هو: تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك». (الفتاوى ٣٧٦٧).

وقال أيضًا: «هذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، من جنس تأويلات القرامطة والباطنية، وهذا التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ورموا في آثارهم بالشهب». (الفتاوى ٤/٦٩).

قال ابن القيم رحمه الله عن خطورة التأويل: «أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دليل على أن الله أراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟! وهل أريقت دماء المسلمين في الفتنة إلا بالتأويل؟! وليس هذا مختصًا بدين الإسلام فقط بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد». (إعلام الموقعين ٤/٢٥٠).

■ علماء أنصار السنة يحذرون من خطورة التأويل الفاسد على المنهج ■

يقول العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (أحد علمائنا البارزين)، محذرًا من خطورة التأويل الفاسد على المنهج:

ولا يغترن إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير، وبسطة في العلم فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعًا، فما وافق منها عقله قبله واتخذه دينًا، وما خالفه منها لوى به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا رده ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلاً - ثقة بعقله - واطمئنانًا إلى القواعد التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول ﷺ أو تحديدًا لمهمة رسالته وتضييقًا لدائرة ما يجب اتباعه فيه واتهامًا لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً.

فإن في ذلك قلبًا للحقائق، وإهدارًا للإنصاف مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة وإلى القضاء وعلى أصولها.

إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفقون على شيء اللهم إلا ما كان من الحسيّات أو الضروريات.

فأي عقل من العقول يُجعل أصلاً يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهماً وتأويلاً.

أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟

أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول بالجبر؟

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؟

أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال؟

أم عقل من قالوا بوحدة الوجود... إلخ؟

ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: «ثم المخالفون للكتاب والسنة، وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمرٍ مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علمًا وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقيين في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟!

فرضي الله عن الإمام مالك حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ؟!» «مجموع الفتاوى».

لقد حرف المبتدعة النصوص فأفسدوها، فأولوا صفة الرحمة بإرادة الإنعام، وصفة الغضب بإرادة الانتقام، وأن المراد باليدين النعمة أو القدرة، وذلك تبعاً لما أسسوه من قواعدهم العقلية الفاسدة.

هذا وإن فريقًا ممن قدسوا عقولهم، وخدعتهم أنفسهم، واتهموا سنة نبيهم، قد أنكروا رفع الله نبيه عيسى ابن مريم إلى السماء حيًا بدنًا وروحًا، ونزوله آخر الزمان حكمًا عدلاً، لا لشيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردها إلى المحكم منها، واتباعًا لما ظنوه دليلاً عقليًا، وهو ما هو إلا وهم وخيال، وردوا ما ثبت من سنة النبي ﷺ نزولاً على ما أصلوه من أنفسهم من أن العقائد لا يستدل عليها بأحاديث الآحاد، واتهاماً لبعض الصحابة فيما نقلوا من الأحاديث، وفي ذلك جرأة على الثقات من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الاستقلال اللغوي
علامة قوة الأمم

إعداد: د/ محمد عبدالعليم الدسوقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

سبق لنا الحديث عن أن اللغة العربية هي لغة القرآن وهو لا يفهم إلا بتعلمها، ومن ثم فإحياؤها إحياء للإسلام.. الأمر الذي دعا أهل العلم أن يقولوا بوجوب تداولها والتحدث بها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.. بل قالوا بكراهة الرطانة بلغات أخرى من لغات العجم إن كان هذا يؤدي بصاحبه أن يعتاد الحديث بها على حساب لغة القرآن.. وما ذلك إلا لأن القرآن هو كتاب أهل الإسلام، واللسان العربي هو شعارهم، وعليه فلا خير فيهم إذا ما تخلوا عن مصدر عزهم وأساس قوتهم.

ونود أن نضيف هنا أنه إذا كانت اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، فإن الأمة العزيزة القوية هي التي تعتز بلغتها، وتعمل على فرضها وتحرص على استقلالها اللغوي كما تحرص على استقلالها العسكري والاقتصادي تماماً، وهي التي تحترم قوانينها اللغوية وتتمسك بأهدابها، والعكس صحيح فالأمم الذليلة المستضعفة هي التي تفرط في لغتها حتى تصبح أجنبية عنها مع أنها منسوبة إليها.. من هنا «كره الإمام الشافعي لمن يعرف العربية أن يُسمِّي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطاً لها بالأعجمية، وهذا الذي ذكره، قاله الأئمة مأثوراً عن الصحابة والتابعين». [الاقتضاء ص ٢٠٤ وينظر فضل العربية لمحمد بن رسلان ص ٢٨]، وما انفك السلف يكرهون تغيير شعائر العرب بالتحدث بغير العربية حتى في المعاملات، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: (من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه)، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها ولكن سوّغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة ولحفظ الإسلام، فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام [ينظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢ / ٢٥٥].

وعندما كان العرب يفتحون بلداً من البلدان لم يكونوا بالتاركين لسانهم ولسان قرآنهم من أجل لسان أحد، وإنما تغلب العربية على أهل المصر المفتوح حتى تُطبق عليه ويعتادها - وسبحان مغير الأحوال - كانوا يكرهون بشدة أن تتفشى فيهم العجمة والرطانة البعيدتان عن لغة القرآن وأهله، وفى ذلك يقول صاحب اقتضاء الصراط المستقيم: «واعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه.. مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم، ولهذا كان

المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر - ولغة أهلهما رومية - وأرض العراق وخراسان - ولغة أهلهما فارسية - وأرض المغرب - ولغة أهلها بربرية - عوَّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم». [الاقتضاء ص ٢٠٦].

وكما لا سبيل لتأدية أسس الإسلام ودعائم الدين إلا بتعلم الفصحى، فإنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم والوقوف - من ثم - على صدق الموحى إليه به ﷺ، إلا عن طريق معرفة لغة العرب التي بها نزل القرآن.. ومن لم تكن له بذلك دراية ولا له عليه إقبال، فشأنه شأن العجمي الذي يعرف الإعجاز في القرآن، من عجز العرب عن الإتيان بمثله وحسب، دون أن يقف هو على حقيقة ذلك.

وأود أن أقرر هنا أنه على قدر المعرفة بلغة العرب، تكون المعرفة بفضل القرآن وعلو شأنه، وبمقدار نقص آلات المعرفة يكون النقص في إدراك إعجازه البياني، وفى ذلك يقول ابن القيم: «وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخُطَبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة ومحاسن الحِكَم والأمثال فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من فنون البيان، علم كيف عجزت عن مجاراته فصحاؤهم، وكلَّت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم، فيقع - من ثم - في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع». [ينظر الفوائد المشوق لابن القيم ص ٧].

على أن التهاون في تعلم الفصحى وافتقاد السعي الدءوب في تعلمها والوقوف على أسرارها قد يؤدي أحيانا إلى الانحراف عن دين الله، ولقد قرأ رجل قول الله تعالى: «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [التوبة: ٣]، فنطق (ورسوله) بالكسر، فسمع ذلك أعرابي، فقال: أو قد برئ الله من رسوله؟!، إن كان ذلك فلقد برئتُ منه، فذهبوا إلى عمر، فقال: ليس هكذا يا أعرابي ولكن: (أن الله بريء من المشركين ورسولُه) أي ورسوله برئ كذلك - يعنى بالرفع على أنها مبتدأ لخبر محذوف - فقال الأعرابي: (وأنا أبرأ مما برئ اللهُ ورسولُه منهم).

وإذا كانت الألسنة متباينة - وتلك سنة من سنن الله وآية من آياته - فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض وأن يكون الفضل في اللسان المتَّبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان لسان النبي ()، ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان يجب أن يكون تبعاً للسانه، وكل أهل دين قبله، عليهم اتباع دينه، وبذا يظهر دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون.. يقول الشيخ أحمد شاكر في تحقيق الرسالة للشافعي: «إن الأمة التي نزل بلسانها الكتاب الكريم يجب عليها أن تعمل على نشر دينها ونشر لسانها ونشر عاداتها بين الأمم الأخري.. وأن تكون في ذلك كله كما قال الشافعي رضي الله عنه تبعاً لا متبوعاً». [الرسالة بتحقيق أحمد شاكر ص٤٩].

وإذا كان الإسلام يسعى - جاهداً - لتوحيد المسلمين، ويعمل - دائماً وأبداً - على أن يجعلهم أمة متآخية متآلفة، فإن اللغة العربية هي أنجع الوسائل الموحدة لألسنتهم وبالتالي بين عقولهم وأفكارهم وتوجهاتهم، وهى التي تمحو ما بينهم من فروق، وتُزيل ما بينهم من غربة، وهي في النهاية التي تصهرهم في عقيدة واحدة شعارها: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ولقد أدرك الاستعمار كل هذا فعمل على طمس معالم هذه الأمة الواحدة، بتغيير لغتها أولاً، فراح يشوهها ويشوه صورة المتكلمين بها تارة، ويصفها بالتخلف والرجعية والجمود

تارة، ويشيع اللهجات العامية في بلاد المسلمين تارة، وينادي بضرورة تعلم اللغات الأجنبية ويشجع على ذلك بدعوى الحداثة ومواكبة العصر تارة، وتوالت أثناء ذلك وفيما بعد، الهجمات الاستعمارية بعد أن سهل عليها إذابة تلك الأمة الوسط وتيسر لها مسخ هويتها وتغييب شعارها، فأصبحت حينذاك ذيلاً لتلك الحضارات الاستعمارية الناهبة لعقول شعوب العالم الإسلامي بعد ثرواتها، وتابعة لها - وذلك من شديد ما يؤسف له - في أحكامها وقوانينها بل وفى عاداتها وتقاليدها، وصارت بحيث (لو سلكوا جحر ضب خرب) لسلكته.

والغريب أن يحدث كل هذا لأمة الوحدة والتوحيد والاعتصام بحبل الله، وأن نجد ممن هو محسوب على الإسلام وأهله من يشجع له، في الوقت الذي نرى فيه الأعاجم يعتزون بلغاتهم، ونرى واحداً كالقائد الفيتنامي (هو شى مينه) يدعو أبناء أمته قائلاً: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم»، ويقول لهم في إحدى وصاياه: «حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، حذار من أن تستعملوا كلمة أجنبية ما كان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية». والأغرب أن نجد حتى هؤلاء المغضوب عليهم الذين قطعهم الله في الأرض أمماً، ومزقهم بين شعوب العالم كل ممزق، وأضحوا بحكم ذلك أصحاب لغات شتي.. نراهم - وقد تآلفت قلوبهم على إحياء لغتهم - يعتزون بالعبرانية التي كتبت بها توراتهم وماتت منذ ألفي سنة، ويعتمدونها في جميع شئون حياتهم تعليماً وإعلاماً وتواصلاً، حتى صاروا بذلك قوة تقض مضاجع المسلمين الكُثر في أنحاء العالم وتقلق راحتهم وتثنيهم عن نشر دينهم على نحو ما نرى الآن، وما ذلك إلا لهوان المسلمين وتهاونهم عن الاعتزاز بلغتهم ودينهم.

وللاطمئنان أقول: إن علماء اللغة المحدثين قرروا أن اللغات التي يُظن بها السيادة اليوم - مهما بذل أهلها من جهد - لا تملك أن تدفع عن نفسها عادية التغيُّر حتى إنها لتصير بعد فترة وجيزة كأنها لغات جديدة.. أما العربية فارتباطها بالقرآن الكريم الناسخ لما قبله والمهيمن عليه، جعل لها ظرفاً خاصاً لم يتح لأي لغة من لغات العالم كلها، ولولا أن الله شرف الفصحى فأنزل بها كتابه وقيض لهذا الكتاب من خلقه من يتلوه صباح مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان.. لأمست كغيرها.. لغة أثرية، ولسادت اللهجات العربية المختلفة في نواحي الأرض العربية، ولازدادت على مر الزمان بُعداً عن الأصل الذي انسلخت منه[ينظر فصول في فقه العربية٤١٤ وفضل العربية٣٥،٣٦]، ولمثل هذا وبمثله سيكتب لها - بفضل الله ومشيئته - الخلود، وصدق الله القائل: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ».. [الرعد / ١٧].

ونخلص من كل هذا إلى أن العربية من الدين، وأن تعلمها لفهم مقاصد الكتاب والسنة قربة من أجلّ القربات إلى الله تعالى، وأن تغييبها عن ساحة الحوار تحت أي مبرر صدٌّ عن سبيل الله، وصدع لا يُرأب، وذنب لا تُقبل له توبة، وجريمة لا تُغتفر في حق هذه الأمة المنوط بها قيادة العالم وريادته.. لأن ذلك يعني صرف المسلمين عن منهج دينهم وعماد شريعتهم ودستور حياتهم وهو القرآن الكريم، فإن اللسان العربي على حد قول ابن تيمية - سالف الذكر - شعار الإسلام وأهله الذي به يتميزون.

وعلينا إن كنا نريد بعثاً لهذه الأمة من جديد وريادةً للعالم على طريق الصلاح والإصلاح.. أن نوثق صلتنا أولاً بهذه اللغة العريقة وأن نتفانى في تعلمها وتعلم بلاغتها، وأن نجعل ذلك قربة نتقرب بها إلى الله ونديناً ندين الله عليه.

والله نسأل أن يعيننا على ذلك وعلى فهم كتابه والعمل له وبه، وأن يقوي بذلك إيماننا وأن يوثق أواصر الصلة بين أممنا.. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة



بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٧ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.


الآن
سارع بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩ هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط ب ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار